كتاب الأهالى

٦

هل نهدم السد العالى؟



فيليب جلاب



العدد السادس ـ يونيو ١٩٨٥

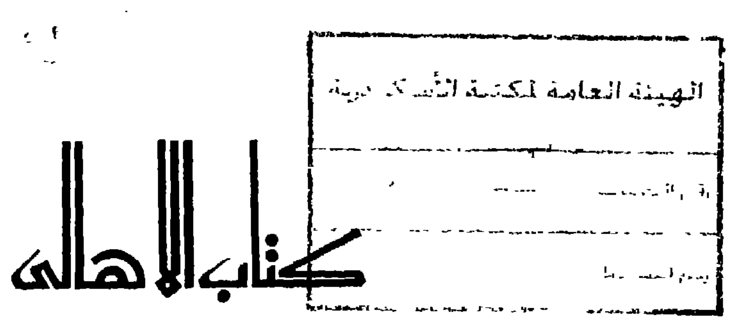
كتاب الأهالي

كتاب غير دوري

كتاب الاهالى : يصدر عن جريدة الاهالى

حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

المراسلات : ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت ـــ القاهرة



العدد السادس ـ يونيو ١٩٨٥



هل نهدم السد العالى؟

فيليب جلاب

الاعداد الفنى

سعد عبد الوهاب



ولم يبقَ شيء يسمى غريب

ولم يأت شيء يسمى عجيب

فلا الصدق يبدو كصدق ولا

أجاد أكاذيبه من كذب !

عبد الله البردوني — الشاعر اليمني

مقدمة

بسبب السد العالي ازدادت « ملوحـة » التربة ، وازداد « النحر » في مجرى نهر النيل ، وانخفضت نسبة « الطمى » التى تخصب الأرض المصرية وهجر « السردين » شواطىء دمياط ورشيد وبورسعيد !

واكتشف احد الباحثين قبل ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٧٤ ان هناك علاقة وطيدة بين السد العالى و « تلوث » مياه الشرب في القاهرة .. اى ان هناك علاقة بين السد العالى وبين انقص مادة « الشبه » وغاز « الكلور »

المستخدمين فى تنقية وتطهير المياه قبل ان تصل الى البيوت .
وكانت الصحف قد اشارت فى ذلك الوقت الى ازمة حادة فى
« الشبه » والكلور .

واكتشف صاحب كازينو على النيل فى القاهرة ان النهر
العظيم فقد سحره القديم ، ولم تعد مياهه الحمراء او السمراء
المحملة بالطمى تندفع كسابق عهدها وتجرف امامها كل شىء .

لقد شاخ النهر العظيم ان لم يكن قد مات !

ومنذ انشاء السد العالى لم تتوقف « الاكتشافات » .
يبدا « الاكتشاف » كتساؤل او كاشاعة فى صحيفة امريكية او
اوربية ايا كان شانها وسرعان ما تتلقفها بعض « صالونات »
القاهرة لتصبح كالحقيقة .

واستمر معدل الاكتشافات بهذه الوتيرة العالية حتى كدنا
نعرف فى ذلك الوقت الصلة بين بناء السد العالى وبين نقص
الصابون فى الاسواق ، او بين اختفاء « الطمى » وندرة الدجاج
فى المجمعات ، حتى يمكن ان نضع حدا للاختناقات التموينية !

ووصلت الاكتشافات الى ذروتها عندما طالب البعض
بضرورة الاسراع فى هدم السد العالى « لانقاذ » مصر من « آثاره
المدمرة » قبل ان يصبح الوقت متاخرا !

لكن السخف فى تلك « الاكتشافات » تجاوز حدود الهزل
الى محاولات غاية فى الدأب لتشويه اعظم منجزات ثورة يوليو
وجمال عبد الناصر ، وللحط من افضل نماذج التعاون بين ثورة
ودولة وطنية تحاول وضع اساس متين للتحرر السياسى والاقتصادى
والاجتماعى وبين دولة اشتراكية تقدم معونة مادية وفنية وفقا

لالتزام تمليه العقيدة السياسية والمصلحة المشتركة فى تصفية آثار الاستعمار والتخلف .

* * *

ومشكلة اعداء السد العالى انهم لا يضعون خطا فاصلا بين ملاحظاتهم وتحفظاتهم الفنية ان وجدت ، وبين معتقداتهم السياسية وعدائهم المرير لثورة ٢٣ يوليو ولجمال عبد الناصر وللاتحاد السوفييتى .

ومع ان هناك ما يمكن ان يؤخذ على ثورة ٢٣ يوليو وعلى جمال عبد الناصر وعلى الاتحاد السوفييتى حتى من جانب المؤيدين للثورة ولجمال عبد الناصر والمتعاطفين مع الاتحاد السوفييتى الا ان اكثر الناس حيادا وموضوعية وابعدهم عن الانحياز المسبق لثورة او دولة او زعيم يرون ان السد العالى على التحديد لا يمكن ان يكون مجالا لمطعن فنى او سياسى بالنسبة للثورة او جمال عبد الناصر او الاتحاد السوفييتى .

لكن مشكلة الآخرين هى ان السياسة تختلط لديهم بالتكنولوجيا بحيث يصعب ان يتبينوا هم او نتبين نحن منهم : هل يهاجمون عبد الناصر لانه بنى السد العالى او يهاجمون السد العالى لان الذى بناه هو عبد الناصر ؟

وهل من عيوب الاتحاد السوفييتى انه قدم مساعدة فعالة لبناء السد العالى ، او من عيوب السد العالى انه بنى بمعرفة الاتحاد السوفييتى ؟

* * *

من اللافت للنظر انه عندما كان السد العالى مشروعا تحت التنفيذ بمعونة البنك الدولى والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرهم لم تثر حوله الاقاويل الفنيـــة والسياسية فى صـــالونات وصحف القاهرة . لقد أستحق منهم يومذاك كل اكبار واعجاب !

لكن عندما نكصت الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة عن تمويل المشروع (لأسباب سياسية كما اعترفت الدوائر الأمريكية بعـــد ذلك) بدأ الهمز واللمـــز الذى تطور الى حملـــة باسم العلـــم والتكنولوجيا والاقتصاد والحرص على ((المصالح المصرية)) !

وبلغ الحرص بهؤلاء المدافعين عن ((المصالح المصرية)) الى حد الدفاع المستميت عن كل ((سردينة)) قد تضيع من شـــاطىء رشيد ، والى درجة ((البكاء)) على بعض ســـحر ورومانسية النيل بعد أن خضعت مياهه لنظام ((ديكتاتورى)) صارم .. حتى لو كان المقـــابل للسردين الذى فقـــدناه و ((الرومانسيه)) التى افتقدناها مئات الملايين من الجنيهات المضافة الى حسابنا سنويا من الطاقة الكهربائية للصـــناعة والانارة ومن الميـــاه الضرورية لزراعة مليون وثلاثمائة الف فدان .. فى بلد غالبيته من الفلاحين ، ومتوسط نصيب الفرد فيه من الأرض لا يتجاوز ١/٥ فـــدان ، وتعداده يتزايد سنويا باكثر من مليون نسمة !

ليت المتعصبين ((لسردين مصر)) يشعرون ببعض التعصب لمصر نفسها !

* * *

ولعل من محاسن الصدف انه عندما كانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ماثلة للطبع نشرت صحف القاهرة هذه البشرى

لانصار السردين : « ظهرت افواج السردين على شواطىء دمياط وبورسعيد امس لأول مرة منذ ٩ سنوات من بدء حجز مياه فيضان النيل خلف السد العالى . وكانت ابحاث خبراء الثروة المائية تؤكد ان من اسباب هجرة السردين ، الذى تقدر قيمته بحوالى خمسة اعشر مليونا من الجنيهات سنويا ، هو منع مياه الفيضان المحملة بالطمى من ان تصب فى البحر الأبيض المتوسط . »

* * *

ولذلك ففيما عدا بعض الملاحظات الفنية والعلمية التى صدرت عن قلة نادرة ومخلصة من الخبراء المصريين لا تجد فى الحديث المعاد والمعادى للسد العالى وجمال عبد الناصر وثورة يوليو سوى الخلط والمغالطة والدعايات السوداء .

ان كل خبراء السدود فى العالم يعرفون ان هناك آثارا جانبية لبناء أى سد فى اى مكان .

والذين درسوا مشروع السد من الخبراء المصريين والعالميين وتحمسوا له ونفذوه يعرفون ان للسد آثارا جانبية مثل اى مشروع مماثل فى العالم .

لكن ما يضيفه السد الى الانتاج القومى فى الزراعة والصناعة لا يمكن ان يقارن بالآثار الجانبية ، كما تؤكد الأرقام . بل ان الآثار الجانبية للسد من ازدياد ملوحة التربة او النحر فى مجرى النهر او حرمان الأرض من بعض الطمى ، أمور يمكن علاجها باكثر من طريقة كما يقول الخبراء ، وكما تؤكد الدراسات التى اجراها المهندسون والمختصون فى وزارة الرى .

اما تكاليف علاج هذه الآثار الجانبية فلا تتجاوز بضـــعة ملايين من الجنيهات بالمقارنة مع مئات الملايين التى يوفرها السد العالى سواء من المياه والكهرباء والارض المستصلحة والمحاصيل الجديدة ، او بتجنب كوارث الفيضانات العالية والمنخفضة .

* * *

قد تكون الملاحظة المهمة الوحيدة التى لم يشر اليها خصوم السد العالى هى التساؤل المشروع لدى الكثيرين : لماذا لم تنجز الاعمال الضرورية لتجنب الآثار الجانبية للســـد العالى فى وقت ملائم حتى لا تتاخر عن التوقيت الذى اكتمل فيه بنـــاء الســـد العالى ؟ لماذا لم ننتــــه من مشروعات الرى والصرف للحـــد من الملوحة ومشروعات بناء القناطر المتعددة لوقف عمليـــة النحر فى مجرى النيل ، والتوسع فى مشروعات انتاج الاســـمدة لتعويض النقص فى الطمى ، وغيرها من الأسئلة المتعلقة بكفاءة تشـــغيل السد العالى حتى لا تضيع قطرة واحدة من المياه وحتى نتجنب اية آثار جانبية ؟

ورغم أن الوقت لم يفت بعد لتدارك هذه الأمور ورغم ان ظروف مصر الاقتصادية واعباءها العسكرية فى مواجهة العدوان والاحتلال الصهيونى لعبت دورا فى عرقلة الكثير من المشروعات او الابطاء فى تنفيذها ، الا ان مثل هذه التساؤلات كانت وستظل مشروعة تماما .

لكن أحدا من اعداء السد لم يحاول توجيهها !

ذلك ان الهدف كان محاولة هدم السد العالى وعبد الناصر وكل ايجابيات ثورة يوليو .

ان السد العالى آثاره الجانبية بالتأكيد . لكن آثاره الايجابية تتجاوز كل السلبيات .

* * *

ورغم ذلك لم تتوقف الحملة على السد العالى والذين بنوا السد العالى والذين ساعدوا فى بناء السد العالى .

كانت الصحافة المصرية قد حصلت على بعض حريتها فى تناول بعض الأمور وعلى « كل حريتها » فى التشهير بثورة يوليو وعبد الناصر وكل ما يمت اليهما بصلة .

ورغم ان طبعتين من هذا الكتاب او الكتيب المتواضع لايمكن ان تواجه سيل الاكاذيب فى الصحف والمجلات عن السد العالى ـ الكارثة الذى يهدد مصر وشعبها بالفناء ـ ، الا ان مجلة حكومية « كبرى » خصصت موضوع الغلاف ارد عصبى على الكتاب كان خطه الاساسي هو ان الذين يدافعون عن السد العالى « عملاء » يلجأون الى سلاحهم الوحيد وهو الكلمات والأفكار « المستوردة » !!

ويبدو ان الحملة المنظمة تجاوزت الحدود المقررة مما دعا الرئيس انور السادات فى ذلك الوقت الى ان يعلن ردا على سؤال لأحد المراسلين بأن السد العالى يعد من اعظم المنجزات الهندسية وان ما يقال عن آثاره الجانبية ليس اكتشافا جديدا ولكنه من الأمور التى يعرفها كل الفنيين ويعرفون كيفية مواجهتها .

وتوقعنا بعد تصريح السادات ان يواصل جنرالات معركة

هدم السد العالى وهدم من بنوه ((نفســالهم)) خاصة أن حرية الصحافة كانت مكفولة لهم تماما ولا ينازعهم أحد فيها .

- لكن لم تمض ســاعات على حديث الســادات حتى كان الجنرالات فى طليعة المتحدثين عن ((عظمة)) السد العالى وبراعة مصمميه وعبقرية منفذيه وضخامة نتائجه المعروفة وغير المعروفة !

وحتى الذين اعتادوا الا يوقعوا بأسمائهم بعض ما تنشره الصحف والمجلات التى يشرفون عليها من هجــوم على الســد العالى حرصوا على توقيع قصائد مديح للسد العالى بعد حديث الرئيس السادات . فليس المهم فى النهاية ان يكون السد العالى نعمة او كارثة على مصر والشعب المصرى لكن المهم هو رضــاء الرئيس !

* * *

وكان الرئيس السادات يرحمه الله من عشاق ((حــرية الصحافة)) بشرط أن تمارس حريتها فقط فى التشهير بخصــومه السياسيين أو من يرى أنهم خصومه السياسيين . لكن التشهير بعبد الناصر من خلال السد العالى ادى الى التشـــهير بأعظــم منجزات مصر بصرف النظر عن نوع القيادة واسم القــائد الذى تمت هذه الانجازات تحــت رايته . وشـــعر عشرات الآلاف من المهندسين والعلماء والفنيين والمسئولين الذين شاركوا فى ملحمة بناء السد العالى ان الحملة تجاوزت كل الحدود بدون اى اساس علمى او تكنولوجى فتوقفت الحملة ، ولكن الى حين .

* * *

ولم تمض سوى اسابيع حتى بدات الحملة من جديد ولكن بأسلوب اكثر براعة ، وصل الى ذروته ((بدراسة)) كتبها احد الصحفيين المصريين الذين يصفون انفسهم بالاطلاع على بواطن الامور . قال الصحفى المطلع ان انشاء السد العالى كان مؤامرة دولية من طراز اجرامى لأن السد نتيجة لحسابات معقدة لم يفصح عنها الكاتب سيؤدى الى غمر الأراضى المصرية بالمياه واغراقها مع بيوتها وسكانها . وقال سيادته انه لن تمض سنوات كثيرة حتى نجد ان ميناء دمياط مثلا قد زحف الى قرب القاهرة !!

وبعد أن ادان الصحفى فى المقال الذى نشره فى مجلة حكومية مصرية المجرم الرئيسى وهو الاتحاد السوفييتى الذى بيت النية على مساعدة مصر لكى تهلك البلاد ويختفى الشعب المصرى من على خريطة العالم ، اراد تاكيد ((حياده)) بين القوى العظمى فتساءل بذكاء : وهل كانت الولايات المتحدة الأمريكية على علم بهذه الكارثة ؟ وهل هذا هو السبب فى انها تراجعت فى اللحظة الأخيرة عن ارتكاب جريمة افناء مصر والمصريين فقررت الغاء اتفاقية تمويل بناء السد العالى ؟

ورد الصحفى المخلص قائلا : لو ثبت ان الولايات المتحدة الأمريكية رفضت التمويل بسبب معرفتها بابعاد جريمة انشاء السد العالى فان ذلك يؤكد ان للاستعمار الغربى نواياه الخبيثة ايضا (وان كان يظل لحسن الحظ فاعلا غير اصلى !!)

ويعتقد بعض قراء صاحبنا الصحفى انه من المحتمل ان يكون مصدقا لما كتبه لأنه وهو من اصحاب الملايين المعروفين الآن فى الأوساط المالية يرفض نقل امواله الى مصر خشية ان تغرق فى مياه السد العالى ويفضل دائما ان يكتب مقالاته من الخارج

ويرسل بها الينا التزاما بواجب قومى واخلاقى ودون ان يعرض نفسه لمخاطر الفيضان المتوقع بين لحظة واخرى !!

ولكن فجاة وبعد عدة شهور توقفت الحملة على السد العالى تماما . واختفى كل اعداء السد من على صفحات الصحف المصرية او تحولوا الى اصدقاء له .

كان وزير الرى ونائب رئيس الوزراء الأسبق الدكتور عبد العظيم ابو العطا قد رد على الحملات المعادية للسد عام ١٩٧٥ باسانيد علمية وتكنولوجية وبارقام وشواهد عملية ولم يلتفت اليه احد . وكان قد ذكر بالحرف الواحد ان فيضانات النهر منذ عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٧٢ كانت منخفضة عن معدلها الطبيعى . ففيضان ١٩٦٥ كان منخفضا بمقدار ٥ر١٢ مليار متر مكعب عن متوسط الفيضانات خلال تسعين عاما . وتبعه فيضان عام ١٩٦٦ الذى كان اكثر انخفاضا عن المتوسط بمقدار ٣ر٢٠ مليار متر مكعب . ثم جاء فيضان عام ١٩٦٨ باقل من اشد الفيضانات انخفاضا منذ عرفت ارصاد النيل العليا وهو فيضان عام ١٩١٣ .

وعلى امتداد تلك الأعوام — قال عبد العظيم ابو العطا — وحتى عام ١٩٧١ كان السد العالى هو درع الامان لنا ، ولولا وجوده فى تلك السنوات الشحيحة الايراد لتعذر ملء الحياض التى لم يكن تم تحويلها بعد ولتعرضت التنمية الزراعية لهزات عنيفه .

وجاء فيضان عام ١٩٧٢ شحيحا جدا فى ايراده قريب الشبه ايضا بفيضان عام ١٩١٣ ، حيث بلغ ايراد النهر عند اسوان فى ذلك العام ٧ر٥٣ مليار متر مكعب . ولولا وجود السد

العالى لكان عام ١٩٧٢ هو عام القحط والمجاعة . ولكن بفضل مخزون المياه امام السد لم يشعر ابناء هذا الوطن بمخاطر قحط مروع لكاد ان يعصف بنا فى ذلك العام .

ولم يثر حديث اكبر مسئول عن الرى والميـــاه فى مصر فى ذلك الوقت اقل اهتمام من جانب المطالبين بهدم السد العالى . فلم يكن احد قد راى او سمع شيئا بعد عن مجاعة بسبب نقص المياه او الفيضان المخفض . ولم يشعر غالبية النـــاس بالمعنى الحقيقى لكلمات عبد العظيم ابو العطا عن « القحـــط المروع » الذى انقذنا منه السد العالى . وربما اضافوها فى الغـــالب الى عشرات التصريحات الرسمية للسادة الوزراء عن امور ذات اهمية وامور غير ذات اهمية !

وظل كل شىء كما كان : الهجوم على السد الذى اصـــبح من لوازم بعض الكتاب حتى بدون مناسبة ، والدفاع عنـــه على استحياء اذا لم يمانع بعض المشرفين على اجهزة الاعلام !

واذ بالعالم خارج مصر يتحدث عن كوارث مجاعة وجفاف مروعة تصيب سبعة دول افريقية وتهـــدد اكثر من ٢٠ دولة من بينها الدول التى ينبع منها نهر النيل .

أصبح الموضوع الأول فى صـــحافة العـــالم وفى اذاعاته المسموعة والمرئية هو كارثة الجفاف التى ادت الى مجاعة اهلكت كل شىء حى ، ويروح ضحيتها آلاف من البشر يوميا رغم حملات الاغاثة العالمية .

ومن خلال المأساة الأفريقية المروعة بدات صحفنا تتحدث بتوسع واعجاب بل وتفاخر احيانا عن السد العالى الذى انقـــذ مصر من كارثة المجاعة .

ولاحظ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ان صحفنا عبرت عن اعجابها الشديد بالسد العالى وشكرنا العميق له كانه قد بنى نفسه بنفسه !

واذا كان السد العالى « كارثة » قومية فان المسئول عن هذه « الجريمة » هو جمال عبد الناصر . اما اذا ثبت ان السد العالى هو المنقذ من الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية فان الفضل فى ذلك يعود الى الحجارة والصخور وليس الى عشرات الألوف من العاملين ، او للرجل الذى اصر على ان هذا هو السبيل لانقاذ مصر من المجاعة !

وكانت الظاهرة التى لا تقل غرابة هى الصمت المفاجىء لجميع فرسان هدم السد العالى رغم ما يتمتعون به من حريات كاملة للكتابة والتعبير !

كنا نتوقع مثلا ، ماداموا قد هاجموا السد بدعوى الأسباب العلمية والتكنولوجية وبزعم انه سيؤدى بمصر الى كارثة لا مثيل لها ، ان يتمسكوا بوجهة نظرهم وان يقولوا مثلا اذا كان السد العالى انقذ مصر من كارثة مجاعة مؤقتة فانه يحمل رغم ذلك كارثة لمصر اشمل وافدح فى المستقبل القريب او البعيد .

لكن صمتهم التام كان مفاجئا وكان اكثر بلاغة من كل ماسبق ان قالوه وكتبوه على مر السنين !.

* * *

وبدات مرحلة جديدة هى « رد اعتبار » السد العالى او كما قال احمد بهاء الدين فى يومياته ان « آخر نكتة يتداولها رجل

الشارع فى القاهرة هى ان مصر اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع الاردن ومع السد العالى » !

وقد عادت العلاقات بالصدفة فى التاسع من يناير ١٩٨٥ وهو عيد مرور ٢٥ عاما على بدء انشاء السد العالى .

وسبب النكتة كما يقول احمد بهاء الدين هو ان السد العالى ، رغم اعتراف العالم كله به كاحد اكبر الانجازات الهندسية فى هذا العصر ، الا ان الحملة على ثورة ٢٣ يوليو وعلى جمال عبد الناصر منذ هبت رياحها على مصر لم تنس السد العالى بوصفه احد اهم انجازات تلك المرحلة . اما الذى اعاد العلاقات « الدبلوماسية » بين مصر والسد العالى كما تقول النكتة المتداولة فهو موجة الجفاف الرهيب فى اثيوبيا والسودان (اى فى منابع النيل) وانتشار المجاعة . ورغم ان هذه ليست اول مرة يحمى فيها السد العالى مصر من هبوط منسوب المياه الا انها ربما كانت اشد حالة مرت بها القارة ومنطقة نهر النيل كلها . »

اما المهندس عصام راضى وزير الرى فيحمد الله فى حديث لجريدة السياسة الكويتية لان السد العالى انشىء قبل الفترة التى نعيشها الآن والا لحدث لنا ما سبق ان حدث لمصر عام ٤٦١ هجرية ثم عام ١٩١٣ ميلادية عندما انخفض منسوب مياه الفيضان الى نفس المستوى الذى انخفض به فى السنوات الستة الاخيرة وما قبلها .

فى ذلك الوقت كما يقول وزير الرى وصل الجفاف بالناس الى اكل الميتة والكلاب حتى وصل ثمن الكلب باسعار تلك الايام الى ٥ دنانير ووصل ثمن اردب القمح الى مائة دينار !

لكن بفضل السد العالى عشنا على مخزون المياه لمدة ستة اعوام عجاف ولم نعرف حتى انها عجاف الا بعــد قراءة انبــاء المجاعة فى دول افريقية ينبع منها نهر النيل نفسه !

وقد حفلت صحافتنا ومازالت تحفل الآن بالذين يكتبــون دفاعا عن السد العالى ومن بينهم رجال ساهموا فى بنــائه بل ونذروا انفسهم فى عهد عبد الناصر لانجاز المشروع ثم تعرضوا بعد وفاة عبد الناصر لحملات تشهير منظمة اقلها انهم ساهموا فى تنفيذ جريمة تهدد الشعب المصرى بالفناء !

والمؤسف ان الفرصة لم تتح لهم للــدفاع عن انفسهم الا عندما اكتشفت صحفنا ان اشقاءنا فى افريقيا يمــوتون بالآلاف والملايين الان ليس لديهم سد كسد اسوان العالى .

وقد تذكرت صحيفة « الجمهورية » مشكورة احد هؤلاء الرجال الذى يعد من ابرز بناة السد العالى وهو المهندس صدقى سليمان الذى لم يكن لديه مطلب سوى ان « يفهم الجيل الحالى ان السد العالى عمل رائع فى كل اتجاه ، وانه كان حلم عبد الناصر وان ابطاله خاضوا معركة على كل المستويات وانتصروا فيها .. ويؤلمهم ان ينسى الناس هذا الجهد او ان يسرق بعض النــاس جهدهم » .

والحقيقة ، حتى بعيدا عن حســابات الأرقام التى لا يمكن تكذيبها او الالتفاف حولها فان السد العالى ليس مجرد « اضخم مشروع منفرد » فى عصرنا .. وليس مجرد نموذج لعلاقات متكافئة ومعونة اقتصادية وفنية من دولة اشتراكية الى دولة وطنيــة مستقلة ، وليس مجرد رمز لتعاون او صداقة مصرية سوفيتية .. ولكنه ميدان معركة او ملحمة سياسية اقتصــادية اجتمــاعية

عسكرية انتصرت فيها ارادة الشـعب المصرى بمعونة الإتحـاد السوفييتى ، وكسرت فيها الحلقة المفرغة المحكمة طوال قـرون حول انطلاقة الشعب المصرية لبناء حياة مستقلة وجديدة » .

ومن هنا تستحق قصته ان تروى ابتداء من العالم العربى ابن الهيثم الذى استدعاه الحاكم بامر الله من العـراق لهـذا الغرض وحتى عشرات المهنـدسين والعلمـاء والفنيين المصريين الذين وضعوا الفكرة موضع التنفيذ فى عهد عبد الناصر .

كان ابن الهيثم كما يقول الدكتور عبد العظيم انيس هو اول من اشار الى فكرة تخزين مياه النيل عند اسوان للانتفاع بها فى فصول الجفاف منذ نحو الف عام .

ونقل عن ابن الهيثم انه قال : لو كنت بمصر لعمـلت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص فقد بلغنى انه ينحدر من مكان عـال وهو فى طـرف الاقليـم المصرى .

وعندما استدعاه الحاكم بامر الله لهذا الغرض سار ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة بايديهم يتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوب اسوان حتى « الجنادل » . لكن ابن الهيثـم لم يجد المكان كما بلغه عنه من قبل موضعا عاليا ينحدر منه النيل. فعاينه واختبره من جوانبه وفكر وقدر فلم يجـد الأمر متفقـا مع الفكرة الهندسية التى خطرت له فعاد الى القاهرة خجلا واعتذر للحاكم . »

اما بعد الف عام من ابن الهيثم فقد تغير الوضع . ولذلك قصة تستحق ان تروى .

خوفو
وعبد الناصر

ليس التـــاريخ في ذاته شيئا الا
جهد الناس للوصول الى اهدافهم .
« فيلسوف »

خوفو .. وعبد الناصر

(تقول اغنية مصرية معروفة ان عبدالناصر بنى «الهرم الرابع» .
ويقول كينيث لوف المؤرخ والكاتب الأمريكى أن عبد الناصر استطاع أن يبنى السد العالى الذى يزيد عن حجم الهرم الأكبر سبعة عشر مرة ، وان احدا لن يذكر فى المستقبل من بين كل الأحداث التى ارتبطت ببناء السد (بما فى ذلك حرب السويس) شيئا سوى السد العالى وعبد الناصر والسوفييت ، كما ان احدا لا يذكر من سياسات عهد خوفو سوى بناء الهرم الأكبر !

ورغم أن المقارنة بين الهرم الأكبر والسد العالى تظلم السد العالى كثيرا والمقارنة بين خوفو وعبد الناصر اشد اجحافا بعبد الناصر ، الا أن ضخامة وروعة وشموخ الهرم الأكبر على من التاريخ وكأحد أهم المنجزات الهندسية تدفع المقارنة دفعا

فى هذا الاتجاه ، سواء فى تلقائية الأغنية المصرية أو فى دراسة المؤرخ الامريكى .

ومع ذلك يظل الهرم كمعجزة هندسية قبرا للملك ، ويظل السد العالى كمعجزة هندسية «مصدر حياة لملايين الأرواح الحية» . وتثور الأقاويل عن الطريقة التى بنى بها خوفو ورجاله الهرم الأكبر وهى « السخرة » وفقا لمقاييس ذلك العهد ، لكن أحداث التاريخ المعاصر تؤكد كيف كانت طريقة بناء السد العالى نموذجا يحتذى لايقاظ ولتعبئة كل طاقات البناء والابداع والخبرة لدى مختلف فئات شعبنا من عمال وفنيين ومهندسين واداريين ، واكتساب ارقى الأساليب التكنولوجية .

... والمقارنة لا تنتهى . وليس هنا مجال دراسة مقارنة لانجاز مصرى قديم وآخر معاصر . لان الأهم من هذا كله ان بناء السد العالى وما صاحبه من تحد ومواجهة وانتصار ، يمثل نموذجا مجسما لبناء مصر الوطنية المستقلة فى مواجهة امبراطوريات قديمة وجديدة ، سعت ولا تزال تسعى للحيلولة دون قيام مصر الوطنية المستقلة فى هذا الجزء من العالم ، واستخدمت فى سعيها المتواصل كل اسلحتها ابتداء من الدبلوماسية والاقتصاد وانتهاء بالغزو المسلح .

ان بناء السد العالى بتعبئة الشعب المصرى وبمعونة مخلصة وغير مشروطة من الاتحاد السوفيتى كان بداية الطريق الحقيقى للوصول الى صياغة مصرية تحقق أهداف الثورة المصرية الوطنية فى كل مجالات عملها . انها تتويج لمحاولات وثورات وطنية لم يسعدها الحظ فى أن تنتزع لمصر حقها الطبيعى فى بناء حياتها المستقلة . وكان عبد الناصر قد استوعب أعظم أحلام ومنجزات عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول كما استخلص بعض دروس هزائمهم التى لا تنسى .



ومن هنا تستحق « ملحمة السد » أن تروى لا كمجرد انجاز اقتصادى وهندسى غير مألوف ، ولكن كأول وأبرز معالم الطريق الطويل الشاق لبناء اقتصاد وطنى مستقل . وهو الاساس المتين لتحقيق اهم أهداف الثورة الوطنية والاجتماعية ضد كل أعدائها .

* *

لم يخترع هيرودت فى القرن الخامس قبل الميلاد عبارته الشهيرة « مصر هبة النيل » . كانت مجرد ملاحظة لمؤرخ ذكر . فبدون النهر العظيم لم تكن لتنشأ على الضفتين أمة فى فجر الحضارة المبكر . وبسبب النهر والنزاع بين الفلاحين على مياه الرى قامت سلطة مركزية تبنى وتحمى منشآت الرى وتشرف بنفوذها على توزيع المياه وفض المنازعات حولها . ومن أجل ضرورة التكهن بموعد وصول الفيضان سنويا ابتكر المصريون القدماء التقويم الشمسى الذى قسموا فيه العام الى ٣٦٥ يوما وطوروا مبادىء الفلك . وتداعت الاختراعات وفقا للحاجات الملحة لشعب مصر . فقياس مستويات النهر المختلفة أوصلت المصريين الى اختراع الرياضيات . والحاجة الى الاحتفاظ بسجلات النهر حتمت تطوير الكتابة .

أما الحاجة الى وحدة الوادى التى تميزت بها سياسة مصر الى يومنا هذا فهى التى أدت الى قيام اول حكومة اتحادية تضم المملكتين أو « الوجهين » القبلى والبحرى منذ ان وحدهما [illegible] ٣٤٠٠ ق.م. ، وكان نهر النيل هو الرابطة .

[illegible] مصر بمعزل عن النيل . وهو كل حياة مصر ، وما لا يصل اليه يظل صحراء مجدبة . وليس هناك شعب آخر

فى التاريخ يعتمد كلية على مصدر واحد كما يعتمد الشعب المصرى على النيل .

لكن من بين ٣٨٦٫٠٠٠ ميل مربع هى مساحة مصر ، لاتتجاوز المناطق الخضراء والمأهولة اكثر من ١٥٫٠٠٠ ميل مربع ، وعلى هذه المساحة المحدودة عاش سبعة ملايين من السكان فى سبعينيات القرن التاسع عشر (١٨٧٠) ، وكان يعيش عليها ٢١ مليون عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو . وكان ولا يزال من المقدر وفقا للدراسات الاحصائية أن يصل العدد الى ٤٠ مليون نسمة بعد عام ١٩٨٠ . أن نسبة كثافة السكان فى وادى النيل هى أعلى نسبة فى العالم حيث تبلغ مابين ٦٠٠ — الى ٨٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع . ولذلك فان نصيب الفرد من السكان من الأراضى المزروعة هو بالتالى اقل نصيب فى العالم .

ورغم الحاجة الى كل قطرة من مياه النيل لمواجهة زحف الصحراء والتوسع فى انتاج الغذاء لهذه الملايين ، الا أن نظام تدفق المياه فى نهر النيل كان يؤدى الى ضياع حوالى ٦٠٪ من حجم المياه سنويا مع ما يسببه اندفاع مياه الفيضان فى بعض السنين من كوارث للسكان والبيوت والمحاصيل .

ولقد كانت مشكلة الرى والكفاح ضد فيضان النيل شغل مصر الشاغل منذ فجر التاريخ . ويقال أن سدا عملاقا شيد على يسار النهر لحماية المنطقة الغربية فى عهد مينا (٣٠٠٠ ق.م) ، كما اقام حكام الاسرة الثانية عشر سدا على يمين النهر ، حيث استخدموا بحيرة قارون لتخزين مياه الفيضان والاستعانة بها فى مواسم الجفاف .

وقد ظل نظام الرى بواسطة الأحواض سائدا حتى بداية القرن التاسع عشر ، عندما شيدت القنوات الكبيرة (الرياحات)

ثم تبعها بعد ذلك انشاء القناطر على فروع النيل المختلفة منذ عام ١٨٦١ حتى عام ١٩٥٥ .

لكن هذه السدود او القناطر لم تكن تتجاوز فى الارتفاع ما بين ٢-٤ أمتار ولم تكن جزءا من خطة شاملة طويلة الامد لتنظيم مياه النهر ، وتوفير أفضل استخدام لها . ورغم ذلك فان بناء هذه القناطر استغرق ٦٥ عاما . كما ان تعلية خزان أسوان القديم بعد الانتهاء من بنائه عام ١٩٠٢ تمت على مرحلتين حتى عام ١٩٣٤ .

ورغم أن خزان أسوان يعد انجازا هائلا فى ذلك العهد الا أنه اقيم بشكل خاص لخدمة كبار ملاك الارض الاغنياء ، وبهدف خدمة محصول القطن الذى يغذى مصانع لانكشاير البريطانية .

* *

تجاوزت حاجات مصر طاقات الخزان القديم . فهو كما اعترف مهندسوه البريطانيون قاصر عن استيعاب اكثر من مخزون عام واحد من المياه ، مما يجعل كل ثروة مصر من المحاصيل الزراعية تحت رحمة حجم الفيضان المتقلب من عام الآخر ، فضلا عن الحاجة الملحة التى بدأت تواجه مصر للتوسع الزراعى والخروج من مأزق تزايد السكان وثبات مساحة الارض .

كانت هناك وسيلتان : الاولى هى بناء مجموعة من السدود على طول نهر النيل ترتكز على بحيرة فيكتوريا كخزان للتحكم ، والاخرى كانت فكرة انشاء السد العالى داخل الاراضى المصرية .

وهى فكرة مصرية فى الاساس وضع خطوطها الاولى ادريان دانينوس (مهندس مصرى من أصل يونانى) . قدم دانيوس

مشروعه وتبنته حكومة الثورة خلال بضعة شهور من الدراسة.
كان الأختيار الاول مرفوضا منذ البداية فلم يكن احد على استعداد لأن يقبل اخضاع مياه النهر ، وحياة مصر كلها بالتالى ، لنظام يسيطر عليه الانجليز عند بحيرة فيكتوريا . وكان سير وليم ويلكوكس المهندس البريطانى الذى بنى الخزان القديم قال مرة أن بحيرة فيكتوريا هى مفتاح مصر وأن من يسيطر على البحيرة يمسك بمصائر مصر فى قبضته . وعلى العكس من ذلك تماما سيؤدى مشروع السد العالى الى عدم جدوى اى اجراء معاد ، كالذى اشار اليه ويلكوكس وطالب به نائب فى مجلس العموم البريطانى عام ١٩٥٦ ، عندما كانت بحيرة فيكتوريا لا تزال تحت سيطرة البريطانيين .

كان السد العالى هو المشروع الحيوى الوحيد الذى يمكن أن يساهم فى توفير الغذاء لمصر الى أن تتمكن من تصنيع اقتصادها فتوفر بذلك الضمان الحقيقى للاكتفاء الذاتى فالرخاء .

وبعد دراسة لمدة عامين قدمت شركة هوشتيف ودور تمند الالمانية الغربية مشروعا لبناء السد يمكنه أن يختزن ١٣٠ الف مليون متر مكعب من المياه مما يتجاوز طاقة الخزان القديم بستة وعشرين مرة . وقدرت تكاليف انشاء السد والمشروعات التمهيدية والتكميلية من رى واستصلاح الاراضى وتعويض سكان النوبة وغيرها بحوالى ٤١٥ مليون جنيه استرلينى . وقدرت المعونة الخارجية اللازمة لمصر بحوالى ثلث هذا المبلغ على شكل مهمات ومعونة فنية . كان المشروع رغم تكاليفه مربحا على اى مستوى . اذ قدر العائد السنوى للرى والملاحة والكهرباء بحوالى ٢٥٥ مليون جنيه استرلينى سنويا ، اى أن كل التكاليف يمكن تغطيتها خلال اقل من عامين . وذلك بخلاف عمليات التصنيع التى ترتبط بالسد بعد انشائه .

* *

فى نفس الشهر الذى وقع فيه عبد الناصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا أكملت شركة هوشتيف مشروعها ، الذى دعمته أيضـــا بموافقة مجموعة معــروفة من الخبراء الامريكيين والاوربيين . وبدأ البنك الدولى دراسة ما أسماه بقدرة مصر الاقتصادية على تحمل تكاليف المشروع ومدى الفوائد التى يحققها بعد اتمامه .

أما مصر فلكى تؤكد جدية قرارها لتنفيذ المشروع ، اعتمدت فى يونيو عام ١٩٥٥ مبلــغ ٨ مليــون دولار للقيــام بالاعمــال التمهيدية . وبدأ بناء الطرق وخطوط السكك الحديدية ومســاكن العاملين فى المنطقة المحددة لبناء السد .

وفى أغسطس من نفس العام أصدر البنــك الدولى تقــريرا مبدئيا لصالح الاقتصاد المصرى وقدرته على تنفيذ المشروع ممــا دفع العمل التمهيدى خطوات أبعد . وبدا أن كل الأمور الخاصة بالمعونة الخارجية قد سويت وأنه ليســت هنــاك صعوبة فى الحصول على القروض الأجنبية والمعونة الفنيــة كما أعلن وزير الانتاج القومى فى ذلك الوقت .

وبالفعل حددت العلامات البيضاء على الضفاف الصخرية للنهر الموقع النهائى للسد .. وأعلنت الشركات الالمانية الغربية والفرنسية والبريطانية عن تشــكيل كونســورتيوم فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ للتقدم بعروض مشتركة لتنفيذ المشروع .

وبدا كما لو أن هناك خطأ ما فى التقدير أو التحليل ، ذلك أن كل المشروعات الإقتصادية الكبرى والتى تغير وجه المجتمع أن تنقله الى مرحلة التصنيع لا تحظى ابدا بموافقة الراســمالية الغربية ولا تستثير حماسها . وقد كان جوهر الصراع بين مصر كدولة شبه مستعمرة وبين الراســمالية الأوروبية والأمريكيــة

هو أن تظل مصر مزرعة ومصدرا للمواد الخام وسوقا للاستهلاك او مجالا حيويا للشركات الصناعية الأجنبية . وكانت البورجوازية المصرية تنتزع بمعارك طويلة ومريرة بعض الفتات من أنياب الراسمالية الغربية لتواجه بعدئذ منافسة قاتلة داخل السوق المصرى نفسه .

وقد فشلت فى مصر كل المحاولات لاقامة محطة لتوليد الكهرباء فى أسوان لتطوير صناعات الغزل والنسيج والأسمدة منذ عام ١٩١٢ ، رغم أن مصر لا تنتج أى انواع الطاقة ورغم أن خزان اسوان القديم يعد موردا هاما (ومعطلا) لانتاج الكهرباء بأرخص الأثمان .

وحتى عندما حصلت مصر على شيء من الاستقلال عام ١٩٣٧ نام مشروع كهربة الخزان بايعاز من القوى التى كانت تملك مصائر مصر فى ذلك الوقت . ولم ينفذ المشروع الا بعد قيام الثورة . ولذلك فقد بدا من الغريب للوهلة الأولى أن يتحمس الغرب لمشروع فى ضخامة السد العالى بما له من ابعاد اقتصادية واجتماعية خطيرة كأول خطوة اساسية نحو مصر المستقلة اقتصاديا وسياسيا على الطريق الوحيد الصحيح . فقد كانت الخطة أن تظل مصر بلا صناعة وبلا جيش أيضا . ولذلك فقد كان من بين أبرز أهداف الثورة تصنيع البلاد واقامة جيش وطنى قوى .

ومنذ بدايات الثورة اكدت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة بما لا يدع مجالا للشك أن المهمة الاولى هى تسليح وتنظيم جيش وطنى ، والا فان كل ما يمكن أن تبنيه مصر للتنمية من مصانع ومدارس ومستشفيات يظل نهبا للاسرائيليين وتحت رحمتهم كما قال عبد الناصر لشواين لاى عندما فاتحه فى صفقة الأسلحة السوفيتية .

وبعد ما يقرب من ثلاثة أعوام من محاولات الحصول على السلاح من الغرب وبعد الوعود المتكررة والبعثات المسافرة والعائدة ، لم يعد هناك شك لدى عبد الناصر وقيادة الثورة فى أن الغرب يرفض تسليح مصر اذا لم ترضخ لشروطه وتنضوى تحت حلف من الاحلاف وتنفذ الدور المرسوم لها فى اطار استراتيجية امريكية عالمية ، وتلك قصة أخرى .

وفى نهاية سبتمبر ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر عن صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى كبديل وحيد لتسليح الجيش المصرى .

أحدثت الصفقة دويا هائلا فى الغرب ، أو نوعا من الغضب الذى أعقب الصدمة الأولى كما قيل يومئذ . لكن بعض العقلاء فى الغرب أدركوا أن اى رد فعل عصبى معاد لمصر سيدفع بالتعاون المصرى السوفييتى الى آفاق ابعد ، مما قد يعرقل احلام ومشاريع الغرب فى المنطقة ، خاصة وأن عبد الناصر وضع خططه لبناء السد بالمشاركة مع الغرب والهيئات الدولية قبل عامين من توقيع صفقة الأسلحة من ناحية ، ولن كل محاولة لشراء السلاح من الغرب أنتهت الى لا شىء من ناحية أخرى .

ويبدو أن الأمر لم يكن قد حسم نهائيا بعد فى جبهة الغرب ، أو أنه كان جزءا من مناورة الخديعة تمهيدا لمفاجاة عبد الناصر « بضربة قاضية » . فقد اعلنت وزارة الخارجية الامريكية فى الثامن من اكتوبر عام ١٩٥٥ أن الولايات المتحدة مستعدة لمعونة مصر فى بناء السد العالى . وبعد أكثر من شهر سافر الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية يومئذ واجتمع فى واشنطن بمسئولى البنك الدولى حيث انضم اليهم ممثلون عن الولايات المتحدة وبريطانيا . وانتهى الاجتماع بتقديم عرض

أمريكى .. بريطانى مشترك اعلن فى السادس من ديسمبر ، وقيمته ٧٠ مليون دولار للمرحلة الأولى من بناء السد العالى ، وتقدم الولايات المتحدة الجزء الأكبر وهو ٥٦ مليون دولار ، وتقدم بريطانيا بقية المبلغ بالافراج عن جزء من الأرصدة الاسترلينية المصرية المجمدة فى بريطانيا .

وتقرر أن يساهم البنك الدولى بقرض يبلغ ٢٠٠ مليون دولار ، وأن تنتهى المرحلة الأولى لبناء السد بعد خمسة أعوام. وأن تزيد الولايات المتحدة وبريطانيا معونتهما فى المرحلة الثانية التى تستغرق عشرة اعوام الى ١٠٠ مليون دولار ، بحيث يصبح التمويل الخارجى فى النهاية مناصفة بين البنك الدولى من جانب وبين الولايات المتحدة وبريطانيا من جانب آخر .

وبعد بضعة شهور من هذا الاتفاق الواضح والمحدد أعلنت الولايات المتحدة الامريكية على لسان وزير خارجيتها « الشهير » جون فوستر دالاس فجأة سحب عرضها للمعونة فى بناء السد العالى . وكان ذلك بأكثر الطرق مجافاة للتقاليد والعرف الدبلوماسى وبصورة لم يسبق لها مثيل فى العلاقات الدولية فيما عدا حالة الحرب !

الوعد والنكوص

« انني اعلم أن الامريكيين شعب مخيف اذا تعاملت معه ، انهم يقدمون وعودا قاطعة ويمنونك بالاحلام وعندما تتورط يتخلون عنك » .

سير رونالد ليندساي سفير بريطانيا في واشنطن عام ١٩٣٢ .

الوعد والنكوص

الذين يعرفون طبيعة السياسة الامريكية التى كان دالاس مع الاتحاد السوفييتى ، أصبح هوفر أحد المسئولين الأساسيين العلاقات بين الولايات المتحدة والثورة المصرية ، بعدما يقرب من ثلاثة أعوام من المناورات والخديعة ومحاولات الاحتواء بكل السبل . كانت كل حسابات دالاس أنه يتعامل فى مصر مع « انقلاب لاتينى » ، وأن هذه هى الفرصة الذهبية التى سنحت للولايات المتحدة الامريكية « لتنظيم » المنطقة كلها بشكل نهائى حتى تكتمل سلسلة حصار المعسكر الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى . كان يقف بكلتا قدميه وبكل قلبه فى اسرائيل ويتطلع بطرف عينه الى مصر . كان دالاس طموحا ، كما قال كاتب ومحقق امريكى حاول تتبع اسرار واسباب موقف الولايات المتحدة ، فمصر عقبة كبرى فى هذه المنطقة أو ربما أهم عقبة تواجه استراتيجية الولايات المتحدة ، وبدلا من أن تظل اسرائيل وكيلا غير شرعى وغير مقنع للرأسمالية العالمية فى المنطقة فماذا لو

اصبحت اسرائيل ومصر عضوان فى جسد واحد ؟ سيصبح دالاس فى نظر البعض « صانعا للسلام » استطاع ببراعة غير مسبوقة ان ينتزع فتيل أشد القنابل فتكا دون خسائر . وستسقط فى يد الولايات المتحدة حركة التحرر الوطنى بكل أجنحتها كثمرة ناضجة. وتحل جميع مشاكل شعوب المنطقة بالقضاء على الشعوب والمشاكل . ومن أجل هذا كله لوح دالاس وحلفائه ببعض عشرات من ملايين الدولارات . كان دالاس « طموحا » أكثر من اللازم !

تبدأ القصة بفكرة سيطرت على دالاس (الذى عرف عنه الانجذاب لأفكار وهمية كثيرة) بأنه من الممكن أن يصبح « صانع السلام » فى الاراضى المقدسة بالمفهوم الامريكى أو الصهيونى .

واستغل دالاس ومساعدوه حاجة مصر الماسة لبناء السد العالى بسبب أوضاع مصر الاقتصادية « للمقايضة » على استقلال مصر .. ونشأت الفكرة فى البداية لدى هربرت هوفر أحد مساعدى دالاس . كان هوفر أحد الذين تولوا تسوية « الأوضاع البترولية » فى ايران بعد النجاح الذى أحرزه انقلاب المخابرات الامريكية ضد مصدق . وبسبب « خبراته » هذه وجد فيه دالاس الشخص المناسب للقيام بمهام مماثلة فى الشرق الأوسط . وعندما قرر دالاس ضرورة اتخاذ موقف أمريكي « ايجابى » فى الشرق الأوسط بعد صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى ، أصبح هوفر أحد المسؤلين الأساسيين عن هذه الأمور فى « الدوائر الضيقة » المحيطة بوزير الخارجية الامريكى .

لقد عملت الولايات المتحدة دون هوادة ضد الوحدة العربية،

سواء لمنع أى تهديد للمصالح البترولية الامريكية أو لاسرائيل وشجعت دائما قيام منافسات بين الزعماء العرب للحيلولة دون قيام أى زعيم عربى يتحدث باسم العرب جميعا ، وخاصة بالنسبة للرئيس عبد الناصر . لكن هوفر كان راغبا فى تغيير الموقف الامريكى التقليدى جزئيا ، وذلك بأن يبلغ عبد الناصر أن الولايات المتحدة مستعدة أن تعترف به زعيما للعرب فى هذه المسألة بالتحديد (وليس غيرها) وهى توقيع صلح مع اسرائيل بالشروط الامريكية ، وفى مقابل هذا الاعتراف الامريكى « بزعامة » عبد الناصر فان الولايات المتحدة ستقدم اليه المعونة لبناء السد العالى حتى « تدعم موقفه » ليكون فى وضع يسمح له بتوقيع صلح مع اسرائيل ! لكن حتى فى هذه الحدود التى لم تتخل فيها الولايات المتحدة عن أى عنصر اساسى من عناصر سياستها المعروفة فى الشرق الأوسط ، لم يحظ مشروع دالاس وهوفر بموافقة الدوائر الصهيونية التقليدية وكبار منتجى القطن الامريكى . كانت للطرفين مصلحة مشتركة فى الا تبنى مصر السد العالى وتطور زراعتها وصناعتها فى المستقبل وكل ما يترتب على تطوير الزراعة والصناعة فى بلد مستقل ، يعد احد المفاتيح الرئيسية لأى سياسة فى الشرق الأوسط .

كان المتحمس الوحيد فى الغرب لأسباب فنية لبناء السد ، دون دراية بما يجرى فى دهاليز السياسة ، هو يوجين بلاك رئيس البنك الدولى . وقد بدأ اهتمام بلاك بالسد العالى منذ زيارته لمصر عام ١٩٥٣ واطلاعه على الخطوط الأولى للمشروع . ويومها ابلغ بلاك لدى عودته الى واشنطن الرئيس أيزنهاور أن السد العالى اضخم من أن يقوم به البنك الدولى بمفرده ، وانه سيطلب عند الانتهاء من وضع خطة المشروع مساندة الولايات المتحدة للبنك الدولى فى هذا الشأن .

وظل بلاك على اتصال وثيق بالدراسات الفنية ، كما أصدر تقرير البنك الدولى عن وضع مصر الاقتصادي عندما أنهيت الدراسات الفنية لمشروع السد فى أكتوبر ١٩٥٤ . وهو التقرير الذى يعترف بأن أوضاع مصر الاقتصادية طيبة وتسمح بقيام المشروع ، وأن المشروع سليم تماما من الناحية الاقتصادية .

ولم يكن هناك من أثر لصفقة الأسلحة السوييفتية كما اعترف بلاك بعدئذ الا أن تشجع تلك الصفقة بريطانيا والولايات المتحدة على السير قدما فى مساعدة مصر على بناء السد العالى . ونفى بلاك كل ما أثير من مزاعم عن أثر صفقة الأسلحة على درجة تحمل الاقتصاد المصرى لنفقات بناء السد العالى .

ولذلك فبعد شهر تقريبا من الاعلان عن صفقة الأسلحة بعث البنك الدولى بفريق من خبرائه ومهندسية الى القاهرة للمساعدة فى وضع التفاصيل الفنية والاقتصادية المتعلقة بالاتفاقية النهائية بين الدول الغربية والبنك الدولى . فى هذه المرحلة بالتحديد تخيل هربرت هوفر ان الوقت ملائم تماما لتنفيذ « المقايضة » ووافق دالاس على التوقيت .

لم يكن عبد الناصر يعرف شيئا فى البداية عن هذه الخطط ، لكنه كان يعتقد أن الاهتمام ببناء مشروع ضخم كالسد العالى كفيل باثبات نوايا مصر غير العدوانية . وعندما أعلن ايدن مقترحاته فى خطابه السنوى فى نوفمبر ١٩٥٥ حول ضرورة أن تصل اسرائيل والعرب الى تسوية تقوم على « حل وسط » بين حدود ١٩٤٧ التى اقرتها الأمم المتحدة وبين خطوط هدنة ١٩٤٩ التى تجاوزت اسرائيل فيها الحدود السابقة ، أبدى

عبد الناصر أرتياحه لهذه التصريحات ورفضتها اسرائيل دون تردد بل أن بن جوريون كان قد استدعى موشى ديان قبل أسابيع من هذه التصريحات للاعداد لغزو سيناء . وقبل أسبوع واحد استولت القوات الاسرائيلية على منطقة « العوجة » للسيطرة على طريق الغزو المرتقب . كان عبد الناصر يريد السلام ليتمكن من بناء السد العالى . لكنه لم يكن على استعداد بأن يقايض بهذا على ذاك .

وبدأ عبد الناصر يدرك من خلال الاتصالات مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على التحديد ، أن هناك اتجاها واضحا لربط المسألتين معا وبشروط الولايات المتحدة . وقد ذكر عبد الناصر هذه الشكوك لتوم ليتل مراسل الايكونوميست اللندنية قائلا أنه يحس أن حاجة مصر لبناء السد العالى تستغل للضغط عليها لصالح اسرائيل . وقال انه لا يقبل الربط بين المسألتين وسيرفض أى محاولة من هذا القبيل . وكان ذلك هو موقفه الثابت عندما استقبل بعدئذ مبعوث « السلام الامريكى »

وتمضى الرواية الامريكية بايقاع اسرع واكثر وضوحا . بدأ هوفر يشترك فى المفاوضات الخاصة بالسد العالى والتى بدأت فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٥ بين الدكتور القيسونى وزير المالية وبين يوجين بلاك رئيس البنك الدولى ، ومثل بريطانيا فيها السفير سير روجرز ماكينز .

وفى الثامن من ديسمبر ذهب دالاس الى « كامب ديفيد » لمقابلة الرئيس ايزنهاور . وقيل أن دالاس أبلغ أيزنهاور فى هذا اللقاء ، الذى أستغرق نصف ساعة مشيا فى الغابات ، عن امله فى النجاح فى « شراء » اتفاقية بين اسرائيل ومصر مقابل معونة للسد العالى . وفى هذه المقابلة تم أختيار روبرت

اندرسون رجل الأعمال ووزير الخزانة السابق للقيام بالمهمة الصعبة لاقناع عبد الناصر . وبدأت وسائل الاعلام الامريكية ذات الصلة الوثيقة بدوائر وزارة الخارجية فى الغرب تعزف فى نفس الوتر . قالت صحيفة نيويورك تايمز بعد ايام من هذه المقابلة . « أن حكومة الولايات المتحدة تربط مقترحاتها الخاصة ببرنامج معونة لمدة عشرة أعوام لبناء السد العالى فى مصر بتسوية للنزاع المصرى الاسرائيلى . أن الأمل معقود على أن تؤدى المفاوضات من اجل معونة اقتصادية لمصر الى تسوية للموقف المضطرب فى الشرق الأدنى » .

لكن مقالات الصحف لا تكفى لتمهيد الجو لمهمة اندرسون . ففى نفس اليوم شنت اسرائيل غارة ليلية على سوريا فقتلت ٥٦ مدنيا وعسكريا وخطفت ثلاثين مواطنا سوريا آخرين . وبين سوريا ومصر فى ذلك الوقت — كما هو معروف — اتفاقية دفاع مشترك .

ووصل أندرسون الى الشرق الأوسط وتردد بين القاهرة وتل أبيب وقابل عبد الناصر وبن جوريون . أما بن جوريون فقد تخيل أن الفرصة ملائمة لفرض شروطه وطالب بمفاوضات مباشرة وعلنية مع عبد الناصر . لكن عبد الناصر أبلغ المبعوث الامريكى أن بناء السد العالى بمعونة أمريكية وغربية لن يقنع الشعب المصرى والشعوب العربية الاخرى بالقبول بشروط اسرائيل .

وفشلت بعثة أندرسون . وكان بن جوريون يعد فى نفس الوقت حكومته لقبول خطة موشى ديان العسكرية الاولى التى اكتملت فى ٥ ديسمبر لغزو سيناء .

ومع أن كل المصادر الغربية المحايدة اجمعت على أن فشل

التسوية السلمية راجع لتعنت بن جوريون فى الأســـاس ، وان خطة بن جوريون السرية للحرب ضد مصر هى التى افشــلت بعثة أندرسون ، الا أن نفس المصادر تقــول أن فشـــل مهمة أندرسون هو الذى حكم على مشروع المعونة الامريكية للســد العالى بالموت !

اذن فقد كانت الخطة منذ البداية هى تنفيذ مطالب صهيونية باسم تقديم معونة للسد العالى ، وعندما قدمت اسرائيل مطالب « غير معقولة » كما تصفها بعض المصـــادر الامريكية امتنعــت الولايات المتحدة عن تقديم معونة لمصر ؟!

الحماس للســد العالى من جانب الحكومة الامريكية الامريكيين يخف تدريجيا . لم يبـق على موقفـه سوى يوجين بلاك رئيس البنك الدولى .

واسدل ستار من السرية حول مهمة اندرسون . لم تعرفه اللجان الفرعية فى مجلس الشيوخ الامريكى شــيئا عن وثائق هذه المهمة او حتى ان احدا قام بها اصلا ، عندما ناقشت لجنتا القوات المسلحة والعلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط بعد حرب الســويس عــام ١٩٥٦ .

لكن السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية استطاع بعــد شهور من التحرى والدراسة الشــاقة لوثائق رسمية أخرى أن يكتشف أن « هناك دليــل على أن الحكــومة الأمريكية نفسها بدأت تعيد النظر فى العرض (الذى قدمته للمعونة فى بناء السد) بعد اسابيع قليلة فقط من تقديم العرض .

أن هربرت هوفر مثلا الذى بدأ مع دالاس مهمة بحث مسألة

السد العالى وفرض تسوية مع اسرائيل ، هو الذي طلب فى نفس الوقت من الرئيس ايزنهاور أن يوافق على تزويد فرنسا لاسرائيل بطائراته ميستير « النفاثة » بدلا من أن تسلمها فرنسا لحلف الاطلنطى » ووافق ايزنهاور على الفور . وقيل فى تبرير موقف هوفر « أنه لم يهضم موقف عبد الناصر الحيادى القومى ، لان هوفر نفسه معتد بقوميته ولا يتسامح مع قوميين اجانب » !

ومن سخرية الأقدار أنه فى نفس الوقت الذى انتهى فيه حماس هوفر للمشروع كان يوجين قد أحرز أثناء رحلة له الى القاهرة نجاحا بارزا فى الوصول الى اتفاق مع عبد الناصر حول دور البنك الدولى فى تنفيذ المشروع !

كان بلاك قد ترك واشنطن فى ٢٤ يناير ١٩٥٦ بوعدشخصى وحماسى من دالاس بمساندة الولايات المتحدة لمهمته . وتوقف بلاك لمدة يومين فى لندن وحصل على وعد مماثل من انطونى ايدن بمساندة بريطانيا . وكما قال بلاك بالحرف الواحد بعدئذ : « ان ما ابلغنى اياه دالاس وايدن هو أن ما اقوم به يعد شيئا هاما للغاية ، وأنهما يأملان الا اتصرف كأحد رجال البنوك .. وان على أن اقوم بهذه المهمة دون تشدد ، وبقدر من المرونة .

ومن ناحية كانت المذكرات الملحقة بنص الاتفاق ، والتى بعثت بها الولايات المتحدة وبريطانيا الى مصر تحتوى شروطا غير مقبولة بشأن مبلغ ٧٠ مليون دولار هو قيمة المساهمة فى المرحلة الأولى لبناء السد . فقد طالبت الدولتان مصر بأن تلتزم بالتركيز على مشروع السد العالى فقط والا تبدد مواردها على مشروعات أخرى للتنمية الاقتصادية وأن تفرض

ضوابط أخرى محددة بحجة تجنب اثر المصروفات الهائلة لبناء السد على أحداث تضخم نقدى فى مصر . اما بالنسبة للبنك الدولى فقد اشترط أن تحجم عن الحصول على اى قروض أجنبية من اى جهة وعن توقيع أى اتفاقيات للدفع مع بلاد أخرى دون موافقة البنك الدولى !

أصبح الموقف كما ذكر عبد الناصر اشبه بالاشراف الثنائى البريطانى الفرنسى على مالية مصر فى سبعينيات القرن التاسع عشر ، والذى انتهى بالاحتلال البريطانى .

كما أبدى عبد الناصر قلقا من التصريح الامريكى البريطانى الغامض وغير الملزم حول مسألة تمويل المرحلة الثانية للسد العالى . وهو الذى وصفه عبد الناصر فى خطاب له بعد ستة شهور بأنه كان نوعا من المصيدة . فبعد أن تحصل مصر على ٧٠ مليون دولار وتبدأ فى بناء السد يمكن أن يتوقف كل شيء ونكون قد انفقنا ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار ، فاما أن نكون قد القينا بهذه الأموال فى البحر او نضطر لقبول شروط البنك الدولى .. وعندئذ قد يرسل البنك الدولى من يتولى منصب وزير المالية ثم وزير التجارة .. الى أن يرسل بعدئذ من يتولى منصب رئيس الجمهورية .. كما قال عبد الناصر ساخرا . !

استمرت المفاوضات بين يوجين بلاك وعبد الناصر من ٢٨ يناير الى ٩ فبراير وكانت الجلسة الأولى عاصفة ، واستغرقت أكثر من ساعة ، حيث ابدى عبد الناصر ضيقه الشديد من الشروط التى جاءت فى المذكرة البريطانية الامريكية .

وفى النهاية استطاع الطرفان الوصول الى اتفاق أولى او « تفهم متبادل » كما جاء فى البلاغ المشترك الذى صدر فى التاسع

من فبراير عام ١٩٥٦ . وابلغ يوجين بلاك مراسلى الصحف يومئذ ان البنك الدولى سيساهم بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار فى المشروع . وان المشروع سيكلف ١٣٠٠ مليون دولار منها ٤٠٠ مليون دولار بالعملة الصعبة وما يوازى ٩٠٠ مليون دولار بالعملة المصرية .

واعرب بلاك من سعادته بأن يشارك البنك الدولى فى مثل هذا العمل العظيم الذى يعد « اضخم مشروع منفرد تم تنفيذه فى تاريخ العالم » وفقا لنص كلماته .

فى الطريق الى الولايات المتحدة توقفت الطائرة للتزود بالوقود فى روما وتقابل بلاك صدفة مع السفير هنرى بايرود الذى كان عائدا من واشنطن الى مقر عمله فى القاهرة . وأبلغ بايرود بلاك أن الولايات المتحدة فقدت حماسها نهائيا بالنسبة لمشروع السد العالى . لم يكن بايرود متحمسا منذ البداية لمشاركة الولايات المتحدة فى المشروع ، لكنه كان معارضا لانسحاب بلاده من المشروع بعد أن أعلنت موافقتها على تمويله ولذلك قرر دالاس فى نفس الوقت أن يسحب سفيره من القاهرة وينقله الى جنوب افريقيا اما بسبب موقفه الجديد أو لتجنيبه الكثير من الحرج . وتم ذلك بالفعل قبل اربعة أيام من سحب العرض الامريكى لتمويل السد .

وعندما وصل بلاك الى نيويورك اعلن فى محاولة اخيرة يائسة انه يحمل اكبر التقدير للرئيس عبد الناصر واعلن أن عبد الناصر يتخذ موقفا وديا من الولايات المتحدة الامريكية . لكن محاولات بلاك لم تجد أى صدى لدى وزارة الخارجية الامريكية .. كان ايدن كما يقول فى مذكراته قد اجتمع بصحبة سلوين لويد مع ايزنهاور ودالاس فى واشنطن اثناء مفاوضات

بلاك مع عبد الناصر فى القاهرة لمناقشة شئون الشرق الأوسط . « واتفقنا على أن مستقبل سياستنا فى الشرق الأوسط يتوقف الى درجة كبيرة على عبد الناصر . ورأى — الامريكيون أن المحادثات الحالية حول سد أسوان مع بلاك يمكن أن تكون مؤشرا لتفكير عبد الناصر فاذا كان موقفه (عبد الناصر) فى هذه المسألة وغيرها يبين عدم استعداده للتعاون ، فعلينا أن نعيد بحث سياستنا تجاهه » .

ولاحظ ايدن أن هناك تغييرا واضحا فى الموقف الامريكى بهذه الصورة عن التأييد الحار ، الذى قدمه هو ودالاس ليوجين بلاك قبل اسبوع واحد .

وبدأت الولايات المتحدة تتبع نفس الأسلوب الذى مارسته مع مصر فى مسألة التسليح . وهو عدم الرد على رسائل عبد الناصر وعدم الالتزام بأى وعد . فقبل نهاية فبراير أرسل عبد الناصر بعض الاستفسارات حول الشروط التى تطالب بها واشنطن ولندن ، مع بعض الاقتراحات لتغيير صياغة هذه الشروط تجنبا لأى نص يتعارض مع سيادة مصر . لكنه لم يتلق ردا من واشنطن أو من لندن . كانت واشنطن قد اتخذت قرارها النهائى للاسباب المعروفة . أما بريطانيا فقد رأت فى عبد الناصر مصدرا لأى تهديد لنفوذها فى الوطن العربى وعندما اتخذ الملك حسين قرارا بطرد جلوب باشا من الاردن ، أعتقد ايدن أن عبد الناصر هو الذى أوعز للملك بهذا القرار ، وأعلن أنه لن يهدأ حتى يدمر عبد الناصر . ولذلك فلم يكن من المتوقع أن يرد ايدن على استفسارات عبد الناصر بشأن السد العالى . وانضمت فرنسا الى جماعات الضغط ضد عبد الناصر فقد كان جى موليه يتشاور مع بن جوريون سرا لايجاد طريقة للخلاص من عبد الناصر ، لاعتقاده أن تأييد مصر لثورة الجزائر لن يتوقف الا بالخلاص من عبد الناصر !

ويروى محمد حسنين هيكل الفصل الأخير فى قصة السد العالى بين امريكا ومصر :

« ... عاد الدكتور احمد حسين (سفير مصر فى الولايات المتحدة) ليقدم تقريره عن مفاوضات السد العالى ، فزار الرئيس فى الاسبوع الأول من يوليو (١٩٥٦) فى مصيف برج العرب الساحلية الصغيرة حيث كان عبد الناصر يستجم قبل الذهاب الى يوغوسلافيا ، لحضور مؤتمر بريونى مع تيتو ونهرو — وهو مؤتمر آخر لدول « عدم الانحياز » جن جنون وزير الخارجية (الامريكى) منه .

« كان ثمة غداء عائلى ، فى اليوم الذى وصل فيه احمد حسين ، وبعد الغداء انفرد الرجال للحديث الجدى ووضع عبد الناصر — الذى كان يرتدى الشورت وقميصا رياضيا — الرجال معه فى سيارة شيفروليه ساقها الى كابين على الشاطىء وهناك باشروا الحديث وهم يصغون الى أمواج البحر .

« تحدث أحمد حسين عن الموقف فى واشنطن ، ومن مصاعب دالاس مع الكونجرس . لكن عبد الناصر استوقفه قائلا : « أننى لن أخوض فى التفاصيل ، لكن عندى الدليل القاطع على انك حتى لو عدت وقبلت بشروطهم كلها التى تريح دالاس مع الكونجرس فانهم لن يعطونا السد العالى » وتمسك أحمد حسين بموقفه قائلا : « لا يا سيادة الرئيس أن المشكلة فى الواقع هى أن الكونجرس ... » ومضى يشرح مشكلات دالاس لمدة ساعة كاملة .

وفى النهاية قال الرئيس :

ـ حسنا .. سأعطيك الفرصة لكى تثبت شيئا من اجلى مر
عد وقل لدالاس انك قبلت بجميع شروطه ثم راقب رد فعله .

ودهش احمد حسين وقال :

ـ الا تريد تعديل اى من الشروط ؟

فقال عبد الناصر :

ـ لا انى اعطيك تفويضا كاملا . اذهب وقل له : اننا قبلنا
بان يتجدد الالتزام الامريكى تجاه السد العالى كل سنة ،
ولكن لا تقل او تفعل شيئا يمس كرامتنا ، ذلك لاننا لن نحصل
على السد العالى .

وخرج احمد حسين من الاجتماع وهو فى اشد الحيرة ،
وعاد الى واشنطن عن طريق لندن بينما توجه الرئيس
عبد الناصر الى يوغوسلافيا .

عندما وصل احمد حسين الى لندن ادلى بتصريح قال فيه
ان مصر تقبل بجميع المقترحات المقررة بشأن السد العالى
وانها ترجو مساعدتها على بناء السد، وتعتمد على هذه المساعدة
وتطلبها .

وسمع الرئيس عبد الناصر من الاذاعة بخبر هذا التصريح
وذلك نحو منتصف الليل وهو فى قطار يعبر به كرواتيا (فى
يوغوسلافيا) وقد ضايقه التصريح اذ شعر بأن مصر قد
اهينت وانه ما كان على احمد حسين أن يدلى بأى تصريح قبل
أن يقابل دالاس ، كما انه كره عبارة « ترجو وتعتمد وتطلب » .

وبالصدفة الغريبة توقف القطار تلك اللحظة فى محطة

صغيرة احتشدت بجمهور من الناس يهتفون « تيتــو .. ناصر تيتو .. ناصر » وكان الرئيس فى بيجـامته ولم يكن راغبـا فى مقـابلة النـاس اذ لم يكن مرتديا الملابس اللائقة باللقـاء ، كما كان متضايقا ولكن قيـل له أن النـاس كانوا ينتظرونه فى المحطة منذ زمن طويل ، فارتدى قميصا فوق سروال البيجـاما ووقف على النافذة يلوح بيده ، وعندما خرج القطار من المحطـة عاد وارتدى سترة البيجـاما واسـتأنف الحـديث عن تصريح احمد حسين .

وعلم دالاس ايضـا بتصريح احمد حسين واحس بأنه سوف يوضع موضع الحرج الشديد ، اذ انه سـيواجه صـعوبات شديدة اذا ما وصل السفير المصرى وقال له رسـميا ان مصر قبلـت بكل شروطه . كان ايزنهـاور يقضى فترة اسـتجمام ويلعب الجولف بعـد نوبة قلبية واتصـل به دالاس تليفـونيا وابلغه بان المصريين لا يتجـاوبون معـه وبانه يقترح سـحب عرض المساعدة على بناء السد ، فاجابه ايزنهاور : « اى شىء تراه يا فوستر .. اى شىء تراه » ، وكان ذلك يوم ١٨ يوليو .

وفى اليوم التالى وصل احمد حسين الى وزارة الخـارجية الأمريكية للاجتمـاع بدالاس ، ولم تمض دقيقـة واحـدة على دخـوله باب مكتب دالاس ، حتى اصـدر لنكـولن هـوايت ــ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخـارجية ــ بيـانا ، الى المراسلين الذين كانوا فى الانتظار يعلن سـحب العرض الامريكى بالمساعدة ، وحدث ذلك حتى قبل ان يبدأ الحـديث بين دالاس واحمد حسين .

كان ذلك الاجتماع المؤسف ، من أسوأ الاجتماعات طالعـا بين الاثنين ، وقد ابرق احمـد حسين بمـا جرى الى الرئيس

عبد الناصر بعبارات تعتصر بالألم ، ذلك ان دالاس فاجأه بالقول حتى قبل أن يفتح فاه :

ـ سنصدر بيانا يا سعادة السفير .. انني آسف لاننا لن نساعدكم على بناء سد أسوان .

وتذكر احمد حسين ما كان عبد الناصر قد قال له ، ففغر فمه واسعا ، لكنه لم يستطع انَ ينطق بكلمه . ومضى دالاس يقرأ البيان ، الذى كان لنكولن هوايت سبق أن وزعه على الصحفيين ، والذى جاء فيه : انَ الولايات المتحدة قررت سحب عرضها لأن اقتصادَ مصر لا يستطيع تحمل مثل هذا المشروع .

وبدأ احمد حسين يحتج بأن هذا القول يشكل اهانة ، لكن دالاس استأنف على حد ما قال احمد حسين فى تقريره ـ المناقشة بطريقة ساخرة قائلا : « اننا نعتقد بأن من يبنى السد العالى ـ أيا كان ـ سيكسب كراهية الشعب المصرى . ذلك لأن العبء سيكون ساحقا » .

وقال دالاس : ليس فى وسع الشعب المصرىَ أن يتحمل عبء تنفيذ مثل هذا المشروع الضخم ، فمتطلباته تتجاوز ما تستطيع مصادر مصر احتماله وخاصة بعد التزامها تجاه شراء الأسلحة . اننا لا نريد انَ نكون مكروهين فى مصر ، ولذا سنترك هذه المتعة للاتحاد السوفييتى ، اذا كان يعتقد أنه يريد أن يبنى السد .

واستطرد يعرب عن اعتقاده ، بأنَ الروس لا يملكون المصادر الكافية للمشروع وانهم لو تعهدوا بتنفيذه فان الدول

التابعة لهم ستتمرد عليهم ، لانهم يساعدون مصر بينما يرفضون اعطاءها المساعدة التى تطلبها .

والواقع أنه بالرغم من انه كانت قد تسربت الى الصحف الامريكية مناورة احمد حسين الدبلوماسية بذكر المساعدة الروسية ، فالحقيقة انه لم يكن قد جرى اى اتصال قط مع الروس فى هذا الشأن ، بل انه لم يجر اى اتصال لفترة ما بعد ذلك .

ومن العجيب ان دالاس عاد الى هذه النغمة اثناء محادثة اجراها مع الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية المصرية ، عند مناقشة ازمة السويس فى الأمم المتحدة . وقال فوزى فى برقية الى الرئيس عبد الناصر : أن دالاس ابلغه ان السد العالى عملية ستنهك الاقتصاد المصرى وانها كانت ستثير كره المصريين لأمريكا ، لأن من شأنهم ان يحسوا بانهم حرموا الكثير من الاشياء بسبب الولايات المتحدة . وهكذا فنحن لا نعترض على قيام الروس ببناء السد .

« وقال فوزى فى برقيته : ان دالاس يعتقد انه فى وسع مصر — على اى حال — ان تمول السد العالى من دخل قناة السويس وذلك فى رأيه هو الحل الأفضل لانه يعنى ان السد لن يكون اذ ذاك ممولا من اية دولة واحدة معينة » .

« وقيل بعد ذلك لعبد الناصر ان دالاس يعتبر سحب عرض المساعدة بمثابة ضربة معلم » وكان قد قيل لدالاس ذات مرة ، عندما شكا من انه لا يستطيع متابعة تحركات عبد الناصر : ان عبد الناصر لاعب شطرنج ماهر ، وظن دالاس ان مناورته هذه ستعنى أنه يقول لعبد الناصر « كش ملك » وكان ذلك تعبيرا

أستعمله دالاس بالفعل مع بعض مستشاريه وهو يهنىء نفسه على ضربته الحازمة !

« وفى تلك الليلة كان عبد الناصر ونهرو عائدين فى طريق الجو على متن طائرة رسمية مصرية . وكان من المقرر أن يمضى نهرو يومين فى القاهرة . وكان الزعيمان فى مقدمة الطائرة وهما يتناولان بعض المرطبات فى انتظار أن تلوح لهما أضواء الاسكندرية . وجاء المرافق الجوى لعبد الناصر من قمرة القيادة فى الطائرة يحمل رسالة لاسلكية تحتوى على خلاصة لبيان دالاس فقرأها الرئيس واعتذر لنهرو دون أن يخبره بمضمونها وحملها الى مؤخرة الطائرة ليطلع الدكتور فوزى ويطلعنى عليها وقال : أن هذا ليس سحبا للعرض . أنه هجوم سافر على النظام الحاكم ودعوة للشعب المصرى الى اسقاطه » .

وانتحى الرئيس جانبا ، وجلس وحيدا مدة ربع ساعة ، ثم عاد واطلع نهرو على الرسالة . وقرأها الزعيم الهندى وقال : « يالصلافة هؤلاء الناس » .

ولكن نهرو لم يشعر — لحظتها بقوة العاصفة التى كانت الأقدار تنسج خيوطها .

وفى نحو منتصف الليل هبطت الطائرة فى مطار القاهرة حيث جاء السفراء . واصطفوا — بما فيهم هنرى بايرود لاستقبال عبد الناصر ونهرو وفقا للبروتوكول .

كان بايرود محرجا الى درجة مخيفة . فقد سمع الجميع

بالخبر . وقد مر به الرئيس وصافحه لكن قبيل رحيـل نهـرو كان عبد الناصر قد قرر نوع الرد على اهانة دالاس .

فقد قرر أن يؤمم قنـاة السـويس ، التى ظلت طويلا رمزا للسيطرة الاجنبية وأن يستخدم دخلها فى بناء السـد العالى .

واتخذ عبد الناصر هذا القرار ما بين العاشرة والحـادية عشرة من صباح السبت ٢٠ يوليو » .

السّد والحقيقة

« وبنوا كما يجب ان يبنى الرجال
سيف فى يد ومعول فى اليد الاخرى »
(ت. س. اليوت)

لم يكن دالاس صادقا فيما ذكره من أسباب للنكوص من تعهد الولايات المتحدة بمساعدة مصر فى بناء السد العالى . وكل ما ذكره وزير الخارجية فى بيانه الرسمى ، او فى أحاديثه مع الدبلوماسيين كان مخالفا تماما للحقائق المعروفة فى ذلك الوقت أو التى عرفت فيما بعد .

وصف مسئول امريكى (روبرت مورفى) بيان دالاس بأنه ذلك البيان الذى لم يقل شيئا . ووصفه يوجين بلاك « بالقسوة والكذب » اذ لك أن تتصور — كما قال — انك طلبت قرضا من بنك تشيزمانهاتن مثلا بمبلغ ١٠ آلاف دولار ثم تقرأ فى الصحف فى اليوم التالى أن البنك رفض اعطائك القرض لأنك سمعتك المالية ليست طيبة !

وذكر السناتور فولبرايت بعد ثلاثة عشر شهرا من بيان

دالاس أن اللجنة التى يراسها فى مجلس الشيوخ أكتشفت خلافا لبيان وزارة الخارجية الأمريكية ، أنه لم يكن هناك أى دليل على سوء حالة الاقتصاد المصرى عندما قررت الولايات المتحدة سحب العرض . وأن الأسباب التى قدمت للرأى العام لم تكن سليمة .

ولقد كتب ايزنهاور فى مذكراته أن صفقة الأسلحة السوفييتية الثانية استنفدت جـزءا من محصول القطن المصرى ، وجعلت من الواضح أن مصر لن تسـتطيع أن تفى بالتزاماتها فى تمويل السد بالشروط التى نقبلها .. وردد دالاس ومورفى وايدن نفس الحجة . لكن يوجين بلاك رفض هذه الدعاوى وقال ان سلامة الاقتصاد المصرى وسـلامة المشروع من المسـائل التى يقررها البنك الدولى ، وان البنك أعلن رايه فيها وكان ايجابيا . وهو نفس ما ابلغـه بلاك لدالاس ومورفى رسميا بعد وصـوله من القاهرة . كما انه أعاد تأكيد موقف البنك فى رسـالة منه الى الدكتور القيسونى فى التاسع من يوليو ، قبـل عشرة أيام من نكوص دالاس !

حتى السفارة الأمريكية فى القاهرة ـــ كما يقول كينيث لوف ذكرت بعد سنوات من هذه الأحداث أن صفقة الأسلحة الثالثة التى عوضت خسـائر مصر عام ١٩٥٦ « لم تسبب أى ضغط بالمرة على الاقتصاد المصرى » وأن تكاليف الأسلحة لم تتجاوز ٢٥ مليون دولار فى العام على شكل سـلع استهلاكية فائضـة من حاجة الأسواق العربية ، وان المصريين اتفقوا مع السوفيت على أن يبيعوا لهم غـزلا من القطن الخام مما يرفع من قيمـة القطن المصرى .

وقد تبدو كل هذه الحجج اكثر هزالا الآن . ذلك أن نجاح

مصر فى بناء السد العالى مع استمرارها فى الحصول على السلاح السوفيتى يسقط نهائيا كل ما قيل عن عدم قدرة الاقتصاد المصرى على تحمل النفقات .

ولعل ملاحظة السناتور فولبرايت فى هذا الاتجاه هى أكثرها ذكاء وسخرية من موقف حكومته الرسمى : « فقد كانت صفقة الأسلحة (السوفيتية) السبب الأساسى لتقديم العرض الأمريكى) . ولذلك يبدو الموقف نوعا من العبث عندما يقال ان صفقة الأسلحة كانت السبب فى تقديم العرض والسبب فى سحب العرض فى نفس الوقت !

بدأت المواجهة التى لم تطلبها مصر ولم تسع اليها . ولكن عندما لاحت نذرها لم ينكص عبد الناصر عن المواجهة .

وعندما كانت الاستعدادات تجرى للاحتفال بعيد الثورة اتصل محمد حسنين هيكل بالرئيس عبد الناصر الذى قال له أن موضوع خطابه سيكون « ان مصر ستبنى السد العالى حتى لو اضطررنا الى بنائه بالمعاول » .

« كان لا يزال فى حالة تفكير عميق يبدو فيه اثر الغضب المكبوت ، وقال لى أن دالاس وايدن كانا يخدعاننا طول الوقت . فقد ضغطا علينا من اجل الصلح مع اسرائيل ، وضغطا علينا لدخول الأحلاف ، وطالبا بتمديد امتياز شركة القناة ! ولكن كل ما أرادا تحقيقه هو زيادة نفوذ بلديهما . واستدرك الرئيس قائلا : « لكننا سنبنى السد العالى بأنفسنا وسنفعل كل شىء لجعله حقيقة واقعة » .

واعلن عبد الناصر تأميم القناة فى خطابه الشهير ، وانتزع بضربة واحدة حقوق الشعب المصرى المهدرة وانتقم فى نفس

الوقت لكل الاهانات التاريخية والمعاصرة ، واسترجع مصدراً مصريا لتمويل مشروع السد العالى ، الذى أرادت الولايات المتحدة ان تقايض به على استقلال مصر .

ونشبت الحرب،بحجة حماية القناة المصرية من «مغتصبيها» المصريين . رغم انهم كانوا يعدون لهذه الحرب ويستعدون لغزو مصر حتى لو لم يؤمم عبد الناصر القناة .

وخرجت مصر من حرب السويس أو العدوان الثلاثى ، الذى تم بتواطؤ من الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى أكثر تصميما على بناء السد العالى والاقتصاد الوطنى باندفاع أكبر ، وبأسلوب أفضل وبرؤيا اكثر وضوحا .

وقال عبد الناصر للقائد تشى جيفارا عندما قابله فى القاهرة :

« لقد خضنا معركة من اجل السد العالى . كانت هناك رومانسية الثورة بأسرها والرومانسية الكاملة لمعركة كبرى ضد ثلاث دول . لقد تعرضت السويس للغزو بسبب السد العالى . ولكن كان علينا — بعد انتهاء القتال — أن نعكف على المهمة الحقيقية » وقد اعتاد دالاس أن يقول لنا اننا سنلعن اليوم الذى فكرنا فيه فى بناء السد ، بسبب التضحيات التى سيفرضها على الشعب المصرى ، ولكن هذه هى الثورة . ان هذه التضحيات هى الثورة . الثورة هى العمل يوما بعد يوم لحفر الأسس الصخرية ، وبناء الانفاق ، وتركيب الآلات ، فهذا ما يغير المجتمع . ان قمة الفاعلية الثورية هى تجنيد الناس للقبول بالتضحيات اللازمة للبناء على الدوام » .

كان الاتحاد السوفييتى فى الحقيقة أول دولة عرضت على مصر تقديم المعونة لبناء السد العالى فى اكتوبر ١٩٥٥ . وكان



هذا العرض الى جانب صفقة الأسلحة هو الذى اثار واشنطن ولندن للتقدم بعرضهما المعروف لكن عبد الناصر لم يحاول استخدام العرض السوفييتى « لابتزاز » الغرب وان كان قد اشار اليه فى حديثه مع مراسل نيويورك تايمز فى ٢ ابريل ١٩٥٦ بعد أن تجمعت لدى عبد الناصر كل الأدلة على نكوص الغرب عن وعوده ومع ذلك كان حريصا فى حديثه مع مراسل الصحيفة المذكورة أن يحدد أنه لا يذكر العرض السوفيتى للمعونة كتهديد أو تهويش . « ان العرض السوفيتى كان عرضا عاما ، ونحن كحقيقة لم ندرسه بعد » .

وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٥٨ وقعت مصر والاتحاد السوفييتى على الاتفاقية التى تعهد الاتحاد السوفييتى بموجبها بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية لمصر لبناء المرحلة الأولى من السد العالى ، وبعد اقل من شهرين تم التصديق على الاتفاقية وشرع الاتحاد السوفييتى على الفور فى تنفيذ تعهداته .

وبدأت الهيئات السوفيتية المختصة تعد الدراسات الأولية الخاصة بالمشروع ، وفى مارس عام ١٩٥٩ سافرت أول جماعة من الخبراء السوفييت الى القاهرة حيث زارت الموقع المقترح للسد فى اسوان ودرست بعض الأمور الفنية على الطبيعة . يقول البروفيسور كومزين كبير الخبراء فى بناء السد العالى : « بعد أن تعرفنا على المنطقة التى سيقام فيها السد اقتنعنا بكل وضوح بأن مشروع شركات أوروبا الغربية تبهظه سلسلة من التفاصيل غير الضرورية ، والتى تستنفذ جهدا ومالا كثيرا » .

ويضرب البروفيسور كومزين مثلين للتعديلات التى اجراها

السوفيت على المشروع الغربى . الأول خاص بالانفاق ، والثانى خاص بالمحطة الكهربائية .

فقد صممت الشركات الغربية مشروع الانفاق لتصريف المياه يبلغ طوله ١٥ كيلومترا . بينما اقترح الاخصائيين السوفييت بناء قناة مكشوفة لتصريف المياه لا يزيد طولها عن حوالى ٢ كيلومترات ، مع ستة انفاق ستوضع فيها البوابات لتنظيم المياه .

وحدد المشروع الغربى انشاء محطة كهربائية طاقتها حوالى ٢ مليون كيلووات على ضفة النيل اليسرى ، مما يقتضى القيام بالعمل على كلتا ضفتى النهر . بينما اقترح المصممون السوفييت بناء محطة طاقتها ١ر٢ مليون كيلووات على الضفة اليمنى للنهر وعلى قناة التصريف المكشوفة ، ووفروا بذلك حوالى ١٣ مليون جنيه مصرى . وقام المشروع السوفييتى من البداية على أساس اتاحة الفرصة فى عام ١٩٦٤ للحصول على بضع مليارات من الأمتار المكعبة من مياه النيل للرى ، مما يعنى ابتداء تحقيق عائد من مشروع السد قبل الانتهاء من اتمامه بست سنوات .

كان الوفد المصرى برئاسة موسى عرفة وزير الأشغال قد عاد من زيارة للاتحاد السوفييتى بعد أن التقى بالخبراء السوفيت ، وزار المشروعات السوفيتية المماثلة ، وشاهد نموذجا مجسما لتصميمات الخبراء السوفييت للمشروع المصرى . وبعد أن تحدث بالتفصيل عن مشاهداته اعلن بأن مصر قررت دعوة الخبراء الغربيين للنظر فى المشروع السوفييتى .

وتلقفت بعض صحف الاثارة الغربية تصريحات الوزير المصرى بطريقة سياسية لا علاقة لها بمشروع يناقش على

أساس اقتصادى وفنى . كان الهدف واضحا منذ البداية ، فمادام الغرب لم يبن السد العالى ، فلا يجب أن يبنيه أحد .

ووصل الى القاهرة وفد من الخبراء السوفييت برئاسة كومزين وعضوية ماليشيف نائب رئيس المهندسين فى مؤسسة هيدروبروجيكت (رئيس مهندسى تصميم سد أسوان) وكاراتاييف ، وجوركوف ، وذلك لمناقشة المشروع السوفييتى النهائى مع نظرائهم الغربيين والمصريين .

وخلال شهر لم يهدأ الجدل والنقاش فى وزارة الأشغال واللجنة العليا للسد العالى . حيث اشترك فيه أبرز الخبراء الأجانب من الغرب والشرق . وفى النهاية اعترف الخبراء الغربيون ومن بينهم ك. ترازجى ، وشتراوب ، و. ا. ستيل (الولايات المتحدة) ، م. بروس (المانيا الغربية) ، اكوين وى ايشى (فرنسا) بأفضلية المشروع السوفيتى . وقال خبراء آخرون انه اذا كان الاقتراح السوفييتى بسد الحاجز الحجرى بالرمال على عمق ٢٥ مترا تحت الماء ناجحا ، فسيكون ذلك شيئا جديدا فى تبسيط وتقصير بناء سدود كبيرة كهذا السد .

وبعد أن تم الاتفاق بين الجميع صادق الرئيس عبد الناصر على المشروع النهائى فى ٢٩ يونيو ١٩٥٩ وبدأ العمل .

فى صبيحة التاسع من يناير عام ١٩٦٠ ضغط الرئيس عبد الناصر على زر أحمر ، وفى الحال تفجرت عشرات الأطنان من الديناميت بدوى يصم الآذان . وكان ذلك بدء المشروع الفعلى فى انشاء المرحلة الأولى للسد العالى بعد أعوام من الدراسات والتصميمات والتعديلات ، وبعد أن بدأت مختلف المصانع فى



الاتحاد السوفييتى فى انتاج المعدات الجبارة الخاصة بالعمل فى السد ، وكل ما يلزم للسد بعدئذ من آلات ميكانيكية ومعدات كهربائية وحاسبات الكترونية وغيرها .

وفى الخامس عشر من يناير عقد نوفيكوف وزير المحطات الكهربائية السوفيتى مؤتمرا صحفيا فى القاهرة أجاب فيه عن اسئلة حول بناء المرحلة الثانية للسد . قال نوفيكوف أن الحكومة السوفيتية ستنظر بعين الود الى اى طلب من حكومة مصر لتقديم عون سوفيتى مماثل لبناء المرحلة الثانية .

وعن طريق نوفيكوف عرض الرئيس عبد الناصر اقتراحا بأن يعاون الاتحاد السوفيتى مصر فى بناء المرحلة الثانية . ولم يستغرق رد الاتحاد السوفيتى أكثر من بضعة أيام . قال خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يومئذ فى رسالة الى عبد الناصر فى الخامس عشر من يناير عام ١٩٦٠ .

« ... وفى خلال حديثكم مع وزيرنا ا. ت. نوفيكوف أبديتم رغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة رسميا فيما يتعلق باشتراك الاتحاد السوفيتى فى بناء المرحلة الثانية من سد أسوان العالى » .

وان حكومة الاتحاد السوفيتى التى درست رغبتكم — وكان رائدها فى ذلك مواصلة تقوية علاقات الصداقة بين بلدينا — تبدى موافقتها على الاشتراك فى انشاء المرحلة الثانية من سد أسوان على نفس الأسس التى اتفقنا عليها عندما اشترك الاتحاد السوفيتى فى انشاء المرحلة الأولى من هذا السد .

ورد عبد الناصر برسالة الى خروشوف قائلا انه لا يخالجه الشك فى أن الرسالة التى حملها الى اليوم وزيركم ا. ت.

نوفيكوف فيما يتعلق بموقف الحكومة السوفيتية من بناء المرحلة الثانية من مشروع السد العالى هى ما يعزز هذا التقدير ويوطد اسبابه ودعائمه : ذلك أن شعبنا الذى يخوض الآن غمار معركة مجيدة من أجل تطوير بلاده ورفع مستوى معيشته يشعر بالعرفان الكبير لكل يد تمتد لمساعدته فى معركته المجيدة الكبرى .

أصبح السد حقيقة بكل ما ستحمله هذه الحقيقة من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية فى المستقبل . ولذلك فبعد آلاف الكلمات من الافتراء السياسى « المبطن » « باسانيد » أو أكاذيب « فنية » من جانب الولايات المتحدة والغرب ضد السد العالى ، تغير الموقف فجأة وأصبح الاشتراك فى بناء المرحلة الثانية — على الأقل — من جانب الولايات المتحدة والمانيا الغربية هدفا يستحق أن تبذل من أجله الجهود الدعائية والاعلامية .

واكتشف الرئيس ايزنهاور أن الولايات المتحدة « مستعدة للمساهمة فى بناء المرحلة الثانية من السد العالى « كما ذكر فى حديث الى الصحفيين » !

وبدأت صحف نيويورك كمن يطالب بحق ضائع تتحدث عن ضرورة مساهمة البنك الدولى فى تمويل المرحلة الثانية من السد وعرضت جمهورية المانيا الغربية تقديم قرض بمبلغ ٢٠٠ مليون مارك المانى (حوالى ٢٥ مليون جنيه استرلينى) للمساهمة فى المرحلة الثانية . وارتبطت زيارة ايرهارد مستشار المانيا الغربية للقاهرة بالمباحثات حول المرحلة الثانية من السد . وبعد وصول الوفد السوفيتى الى القاهرة أسرعت المانيا الغربية بزيادة القرض المقترح الى ٣٠٠ مليون مارك . وحتى الن دالاس مدير المخابرات الأمريكية وشقيق وزير الخارجية

ادلى بدلوه فى الموضوع لكن بطريقة رجل المخابرات الذى يخشى من التغلغل السوفيتى فى افريقيا اذا ما انفرد الاتحاد السوفيتى بالمساعدة فى بناء السد !

وتصادف أن كان وفد من رجال الأعمال الأمريكيين فى زيارة للقاهـــرة فى نفس الوقت ، فقاموا بنشاط محموم ، معلنين عن استعدادهم للمساهمة فى بناء المشاريع المدرجة فى خطة السنوات الخمس لتصنيع مصر ! .

لكن خبرة السنوات الماضية المريرة وكل التاريخ المصرى الحديث لم تكن تســمح للحظة واحــدة بتصديق كلمــة من كل ما قيــل . وفى اغسطس ١٩٦٠ انتهت المحــادثات التفصــيلية الخاصة باشتراك الاتحاد السوفيتى فى المرحلة الثانيــة ووقعت فى السابع والعشرين من نفس الشهر اتفاقية المعونة السوفيتية لبناء المرحلة الثانية والنهائية للسد العالى .

كانت البداية شاقة. فلم يسبق للخبراء والمهندسين والعمال السوفيت أن بنوا سدا من السدود الكثيرة التى انجزوها تحت حرارة تصــل الى ٥٠ درجــة مئوية . ولم يسبق للمهندسين والخبراء والعمال المصريين أن بنوا شيئا بهذا المستوى من قبل . وكانت هناك عشرات بل مئات الصعوبات التى تتعلق بالموقع ، وطريقة نقل المعدات الجبارة ، والعمل عليها ، وصعوبة اللغــة الاخرى بالنسبة للمصريين والسوفييت على السواء .

لكن « ظمأ البنائين المصريين الى المعرفة كان عظيما » كما يقول خبير سوفييتى . كان المصريون يسعون لانجــاز المشروع بأسرع وقت ممكن ، وما ان يبدءوا فى التعليم حتى يديروا أعقــد الآلات بأنفسهم ، وفى زمن قياسى .

وكان السوفييت يعملون وفقا لافضل تقاليدهم القومية والاشتراكية . « ان الظاهرة المشتركة بين كافة الخبراء (السوفيت) الكبار هى انهم جميعا اشتركوا فى الحرب وفى بناء اضخم المشروعات المائية والكهربائية فى الاتحاد السوفيتى ثم فى البلاد الأجنبية . ان تاريخ اى واحد منهم هو نفس تاريخ الاتحاد السوفيتى .. البناء ثم الحرب فالعودة الى التعمير » .

يقول احد كبار الخبراء (رادتشنكو) : من وجهة نظر المعيشة أو الترفيه لم يكن العمل هنا ممتعا دائما .. اننا نعمل هنا لا تدفعنا منافع كثيرة . اسالوا اذن ما الذى ابقانا هنا ؟ اننا ننظر الى العمل هنا كمسئولية هامة على حكومتنا . ونحاول ان ننجز هذه المهمة على احسن شكل . ونحن نفهم جيدا اهمية العمل هنا .. اننا ندرك مسئوليتنا : ان الفائدة من بقائنا هنا هى نفسها التى تعود علينا من عملنا فى بلادنا . فنحن ندرك اهمية مساعدة العرب .

وفى ظل السد ، ومن خلال العمل الدائب والتحدى الشاق ظهر ما اسماه الكتاب والفنانون « بانسان السد » المصرى برزت الى السطح فضائل المصريين الذين ميزتهم طوال آلاف السنوات قدرتهم على العمل والبناء ، وجلد بلا حدود .

ولمتهزم البيروقراطية المصرية التقليدية ذات الخمسة آلاف عام كما هزمت فى أسوان ، وعلى أيدى مصريين من كبار الخبراء الذين قضوا عشرات السنين من قبل على المكاتب ، وعلى أيدى عمال من الشباب والكهول جاءوا من اعماق الريف ومن كل قرى ومدن مصر . .

يقدم ثلاثة من ادبائنا الشبان قضوا بضعة شهور مع العاملين فى السد نماذج عديدة للمصريين الذين خلقوا من جديد مع المشروع الجبار . ان شيئا غامضا مس روحهم جميعا .. الذين درسوا فى ارقى الجامعات الأجنبية والذين لم يروا شكل الحروف الابجدية قبل التحاقهم بالعمل .

« أخطر خبرة اكتسبتها هنا هي فن قيادة النـــاس وقيادة العمل وتنوع طرق التشغيل ، مش حتصدق لو عرفت أن سني٢٢ سنة بس ، أنا خريج فنون جميلة اسمي حسن توفيق ، المرحلة الأولى « للسد » نجحت بسبب التعبئة السياسية الشاملة التي حولت السد العالي الى رمز قومي ومعركة وطنية ممتلئة بالتحدي والاقدام والخوف من عدم الانجـــاز ، بالجسارة والبطولة كحرب كمعركة حياة .. سنة ١٩٦٣ كان فيـــه خوف من الفيضان كان هناك سباق مع الزمن ، لازم قناة التحويل تكون جاهزة ، كان معـــروف أن فيضان ١٩٦٤ حيكون جامد ، وكان هـــذا أقسى اختبار ، ... لابد من الصمود أو يجرف الفيضان كل شيء وكل ما بذل من مجهود لكننا صـــمدنا أمام الاختبار القـــاسي وحدثت تضحيات غالية وحقيقية .

« أنا كنت مساعد سباك في اسنا ، اسمي سعد محمود محمد يشـــغل كهربائي في النفق . الأول كنت فلاح ، كل ما أعـــرفه تعلمته في الســـد ، كل النـــاس اللي شايفهم هنـــا في النفق كانوا فلاحين واتعلموا .

السد خلاص خلص !

ومئات وألوف غيرهم .. !

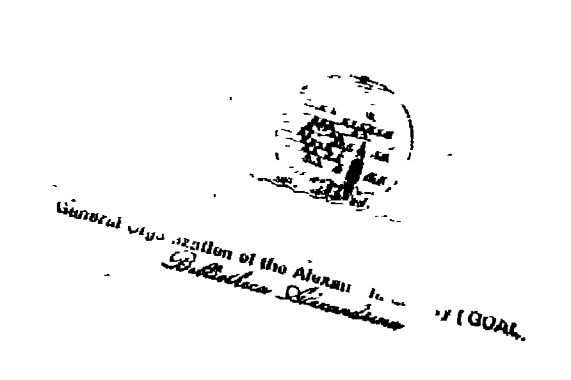
قبل أن ينتهي بناء السد العالي كان قد حقق ما يقرب من تكاليف انشائه . وذلك كما يقول أكفأ الخبراء المصريين . كان قد تم اغلاق مجرى النهر في ١٥ مايو عام ١٩٦٤ ، ومن ثم بدأت الاستفادة من مشروع السد العالي بتحويل « تصرفات » النهر الى القناة الصناعية التي أنشئت بالبر الشرقي ، وجاء فيضان عام ١٩٤٦ « خارقا في الارتفاع » كما تقول دراســـة للمهندس محمد عبـــد الرقيب وزير الري الأسبق فأمكن للسد أن يحتجز كميات الميـــاه الهائلة الزائدة عن أقصى حـــد تستطيع البـــلاد مقاومته .

ولولا ذلك لتعرضت مصر لمخاطر جسيمة لا يمكن تقدير مداها » لكن فيضان الأعوام ١٩٦٥ — و ١٩٦٦ و ١٩٦٨ و١٩٦٩، كلها كانت منخفضة بشكل ملحوظ ، ولولا وجود السد العالى لتعذر ملء الحياض وتعذرت الزراعة بالتالى .

وفى ٩ يناير عام ١٩٦٨ احتفل بتشغيل التوربينات الثلاثة الأولى من محطة توليد الكهرباء وفى ٢٣ يوليو عام ١٩٧٠ تم تشغيل التوربين الثانى عشر وتمت أعمال السد والستارة القاطعة .

وفى الخامس عشر من يناير عام ١٩٧١ احتفل رسميا بانتهاء العمل فى المشروع بحضور الرئيس أنور السادات والرئيس نيقولاى بودجورنى ، حيث أصدرا بيانا رسميا عن اتمام بناء السد العالى فى موعده .





الحملة مستمرة !

« الذين ينسون الماضى سيحكم
عليهم بان يعيشوه مرة اخرى »

(جورج سنتيانا)

الحملة مستمرة

لم تحط الأقاويل والشكوك بمشروع على مر التاريخ كما أحاطت بالسد العالى ، سواء عندما كان مجرد فكرة على الورق، أو أثناء الاعداد لتنفيذ الفكرة على الطبيعة أو حتى عندما أصبحت بعض مزاياه مرئية ومحسوسة ، أيا كانت النقائص فى وسائل الافادة من هذه المزايا .

ولم تزيف السياسة التكنولوجيا كما زيفتها لدى بعض « الخبراء » ، عندما يتحدثون عن السد .

وعندما كان المفترض أن يساهم البنك الدولى والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى اقامة السد أثبتت البحوث الغربية أنه مشروع سليم مائة فى المائة ولا غنى عنه للاقتصاد المصرى ، وأن مردوده الاقتصادى بلا حدود . وعندما نكصت الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عن المساهمة فى السد لأسباب سياسية بدأت تظهر « عيوب » و « مخاطر » المشروع ، بل ظهر

ان مستر دالاس الشهير اكثر حرصا على مصالح الشعب المصرى من أى زعيم أو خبير مصرى !

لكن عندما فوجئت الولايات المتحدة بأن مساهمة الاتحاد السوفييتى فى السد العالى مسألة جدية ، وانها لم تكن خدمة أو مناورة من جانب عبد الناصر او السوفييت — كما فهم دالاس خطأ من تصريح لشبيلوف وزير الخارجية السوفييتى بأن الاتحاد السوفييتى يهتم بالمشروعات الصناعية فقط ! — عندما فوجئت واشنطن بالموقف ، اعلنت مرة اخرى على لسان الرئيس ايزنهاور استعدادها للمساهمة فى المرحلة الثانية للسد ، ونسيت تماما كل « عيوب » و « مخاطر » المشروع ، وكل ما يتعلق بمصالح الشعب المصرى بالتالى !

ان ما يعنينا فى هذا كله هو الوصول الى الحقيقة ، كما يقررها غالبية ذوى الرأى من العلماء والخبراء والمهندسين فى مصر وفى العالم ، بصرف النظر عن اى خلفية سياسية . ذلك ان الأمر لا يتعلق بموقف سياسى صائب أو خاطىء ، ولكنه يرتبط بكارثة اقتصادية واجتماعية لو صح أن هناك آثار جانبية خطيرة لا يمكن تلافيها بعد انشاء السد كما يزعم البعض ، ويرتبط بكارثة « علمية » وفنية واجتماعية وخلقية أيضا لو صح أن دوافع سياسية تختفى وراء حجج « علمية » للتشهير بانجاز هندسى وعلمى واقتصادى فى مثل ضخامة السد العالى ، واهدار تضحيات عشرات الالوف بل ملايين المصريين الذين ساهموا بدرجات متفاوتة فى اقامة هذا الصرح الشامخ بمعونة الاتحاد السوفييتى .

* *

ماذا يقول « أعداء » السد ؟ وقبل ذلك من هم أعداء السد ؟

يقتضى التفرقة بين الذين قاموا أو يقومون بعمليـــة
مسية شبه منظمة وتفتقر الى ما تواضع عليـــه خبراء
فى العالم من أسس فنيـــة ، وبين أولئـــك المصريين
لذين تصدر ملاحظاتهم عن ايمـــان حقيقى بما يقولون
ـفوا بخطأ بعض وجهات نظرهم عندما تبينوا الحقائق
فنية والعملية التى تدحض وجهات نظرهم .

هنا يمكن ان نجمل كل ما قيـــل من ملاحظات ضـــد
ـد العالى ، سواء اتخذت صورة نقد علمى وفنى أو
ت تشكيك سياسية فيما يلى :

ـسوب الطمى فى حوض الخزان ، وأثره على خضوبة
ـراعية .

نحر فى مجرى النيل خلف الســـد العالى وأثره على
اطر الكبرى .

كل شواطىء الدلتا .

تبخر والتسرب فى حوض الخزان .

بطء فى ملء بحيرة ناصر ، على غير المتوقع .

يادة الملوحة فى الأراضى المزروعة .

تشار الأمراض المتوطنة كالبلهارسيا .

نص الثروة السمكية (كالسردين) .

ـراسة اصدرها المهندس محمد عبد الرحمن وزير الرى
هنى بشكل مستفيض كل هذه الملاحظات على ضـــوء
علمية والفنية التى أجراها الخبراء المصريون والأجانب
ـربا) وخلص الى النتائج التالية :

اولا — رسوب الطمى :

عند بدء دراسة مشروع السد العالى، اتجهت انظار الخبراء نحو اجراء البحوث العلمية المستفيضة فى شــان طمى النيل ، وتأثيره فى خصوبة الأرض ، وقد أســفرت البحوث عن الحقائق الآتية :

١ — ان ما يربو على ٨٨٪ من طمى النيل كان يتدفق الى البحر كل سنة .

٢ — وبالتالى فان تأثير السد العالى على حرمان الأراضى المزروعة من الطمى لن يتعدى ١٢٪ من كميته فى أسوأ الظروف، وقد توقع الباحثون أن الذرات الرفيعة من الطمى ستظل عالقة بالمياه المنطلقة من انفاق السد ، وهــذا من شأنه ان يهبط بهذه النسبة القليلة الى نحو ٩٪ فقط من كميــة الطمى الذى يحمله النهر .

٣ — وقد ثبت أيضــا ان أراضى الحياض بالوجه القبلى كانت بسبب انغمارها بميــاه الفيضان تستأثر وحدها بنحو ثلثى كمية الطمى الذى يرسب فوق الأراضى المزروعة ، وهنا ينبغى الا يغرب عن البال ان اى بديل لمشروع السد العالى ، كان لابد ان يأخذ فى اعتباره تحويل الحياض الى الري الدائم على أساس انه المشروع الأول فى مجال تنمية الانتاج — الزراعى رأسيا .

٤ — وتعرض البحث للقيمة الغذائية لطمى النيل ممثلا فى كمية ما يحتوى عليه من الأزوت ضمن ما يحمله من مواد عضوية ولقد تبين ان نسبة الأزوت لاتتعدى نحو ١٣ر٠٪ من وزن الطمى فضلا عن أن الجزء الصالح لغذاء النبات من هذه النسبة لايتجاوز الثلث .

٥ ــ وانتهى البحث الى أن كل ما سوف تخسره الأراضى المزروعة فى مصر من الأزوت الذى يحمله طمى النيل لا يعدو نحو ١٨٥٠ طن يمكن تعويضها بنحو ١٣٠٠٠ طن سماد نترات الجير قيمتها ٣٤٦٠٠٠ جنيه .

٦ ــ وانه لا وجه للمقارنة بين هذا المبلغ الزهيد وبين العائد الضخم من مشروع السد العالى وانما نكتفى بأن نجعل المقارنة محصورة فى مزايا الطمى واضراره ، وحسبنا أن نقول فى هذا الصدد أن رسوب الطمى فى قيعان الترع وجوانبها يكلف الدولة كل عام ما يزيد على ثلاثة أضعاف ما تكتسبه الأرض من رسوب عليها .

٧ ــ والواقع أن الطمى كان مشكلة قبل السد العالى ، لا من ناحية رسوبه فى الترع فحسب ولكن ــ اكثر من ذلك ــ من ناحية القيود التى كان يفرضها على مشروعات التوسع فى التخزين الموسمى المحدود ــ السعة ، وقد أزاح السد العالى هذه المشكلة ، بتضحية طفيفة مقدور عليها لا يجوز بحال أن تدخل فى الحسبان .

٨ ــ واذا كان الكتاب فى الخارج ، منزعجين لحرمان الأرض من رسوب الطمى فما بالهم لا يرثون لحال الدول التى تزدهر فيها المحاصيل دون أن يعكر الطمى لون المياه الجارية فى انهارها .

٩ ــ أن الأراضى الزراعية فى مصر رغم حرمانها من هذا القدر الضئيل من غذاء الطمى قد زادت غلتها نظرا لما وفره لها السد العالى من تحسين فى ظروف الرى فى المواعيد وبالكميات المناسبة على مدار السنة وتحسين فى وسائل الصرف بتخفيض

مستوى المياه الجوفية — والأرقام التالية تبين مقدار الزيادة فى محصول الفدان من القطن والقمح فى بعض أراضى الوجه القبلى قبل وبعد انشاء السد العالى :

متوسط المحصول من ١٩٦٠ الى ١٩٦٥	متوسط المحصول عام ١٩٧١
اسيوط : قمح ٨ر٣٧	١٣ر١٠ أردب
قطن ٥ر٩٦	٦ر٠٣ قنطار
سوهاج : قطن ٧ر٧٠	٨ر٥٠ أردب
قطن ٧ر٧٢	٦ر٦٦ قنطار
قنـا : قمح ٦ر٢٨	٦ر٨٣ أردب
قطن ٤ر٥٤	٤ر٣١ قنطار

ثانيا — النحر فى المجرى :

قدر الباحثون فى مشروع السـد العالى — فى مستهل دراسته — احتمال حدوث نحر فى مجرى النهـر ، على امتداد المسافة بين اسوان والقاهـرة بسبب انطلاق الميـاه من انفاق السد خالية — لحد ما — من كميات الطمى التى القت بهـا فى حـوض الخزان .. وقد خرجوا من دراستهم لهـذه الظاهرة بالنتائج الآتية :

١ — أن لكل نهر طبيعة خاصة يصعب معها التكهن بمدى الخطورة التى يمكن لهذه الظاهرة أن تؤثر بهـا فى مجرى النهر وفى سلامة القناطر المقامة عليه .

٢ — ان حدوث هذه الظاهرة يتوقف على اساس سرعة المياه ، وبالتالى على مقدار التصرف المنتظر اطـلاقه من انفاق السد العالى .

٣ — ان أعلى تصرف متوقع لمواجهة اقصى الاحتيـاجات المائية بعد السـد العالى انما يدخل فى حدود التصرفات المامونة التى لا تقوى على تحريك رمال القاع والجوانب .

٤ — ان الاضطرار فى ظروف الطوارىء ، وفى ظـروف الفيضانات العالية المتتالية ، الى اطلاق تصرفات اضافية تأخذ سبيلها الى البحر ، انما يدخل فى حدود الاحتمالات البعيدة .

٥ — ان مواجهـة اية بادرة لظاهرة النحر رهينة بانشاء سلسلة من القناطر الجديدة عبر النهر تتوسط احباسه الحالية فيما بين اسوان والقاهرة من شانها العمل على تقليل انحدارات المياه فى النهر فتقل سرعتها وتصبح غير قادرة على نحر المجرى، وبذلك يمكن ضمان سلامة القناطر الحالية والمستجدة .

٦ — ان توليـد الطاقة الكهربيـة من القنـاطر المقترحة والقناطر الحالية فى مدى سقوط يبلغ فى جملته نحو ٧٠ مترا ، انما يدر عائدا اقتصاديا يبرر وحده تكاليف انشائها .

٧ — ان الخبرة المستمدة من تشغيل سد اسوان القديم ، وانطلاق المياه من فتحاته رائقة نسبيا ، لمدة ستة اشهر سنويا انما تؤيد جانب التفاؤل الذى جنح اليه الباحثون .

ولقد دلت التجربة الفعلية على صحة هذا التقدير — فاليوم بعد انقضاء سبعة أعوام على تشغيل السد العالى لم تحدث تلك الظاهـرة الا نحرا طفيفا لا يتجاوز عمقه بضـعة سنتيمترات ولا يشكل خطرا على سـلامة القناطر عـلى الرغم من انه فى مرحلة ما بعـد قفل مجرى النهر كانت تمر خلف السد العالى تصرفات عاليه أما لعلو تصرفات الفيضان أو لصرف مياه زائدة

لملء الحياض الباقية التى لم يكن قد تم تحويليها فى ذلك الحين — لذلك فقد وصـل أقصى تصرف للمياه عام ١٩٦٤ الى ما يزيد عن ٩٠٠ مليـون متر مكعب فى اليوم وفى عام ١٩٦٥ الى ٥٠٠ مليون متر مكعب — أما فى عام ١٩٦٨ والأعوام التاليـة فانه بالنسبة لاستكمال بنـاء جسم السد وانتهـاء العمل فى تحويل اراضى الحياض البحتة — التى كانت تستلزم تصرفات عاليـة لملئها — فقـد بدأ حجز ميـاه الفيضان الزائدة عن حاجيـات الرى ولم تزد تصرفات الميـاه خلف السـد عن مقدار هـذه الحاجيات .

وبمعنى آخر فقد بدأ التخزين المستمر فى بحـيرة السـد العالى منذ فيضان عام ١٩٦٨ مع صرف حاجيـات الرى التى لا تزيد أقصـاها عن ٢٥٠ مليـون متر مكعب فى اليـوم خلف السـد — وقد ظهـر من الارصاد وأعمال الرقابة التى أجريت بصفة مستمرة منـذ ذلك التاريخ ان حالة قاع النهر أخـذت فى الاستقرار .

ومع كل ذلك ، ستظل الرقابة على النهر مستمرة على طول مجراه بين أسوان والقاهرة للتعرف على ما يحتمـل حدوثه من تغـيرات فى مناسيب قاعه حتى يمكن اذا ما ظهـرت أى بادرة يخشى منها على سلامة القناطر الحالية درء الخطر فى وقت مبكر، والاطمئنان الى أن النهر قد وصل بالقطع الى نوع من التوازن والاستقرار .

ونعود للقول بأن الخطر غير قائم فى الوقت الحاضر ، وأن مواجهته — اذا حدث — مقدور عليها بأعمال هندسية لهـا فى حد ذاتها من العـائد ما يضيف كثيرا الى العوائد الضخمة التى يدرها مشروع السد العالى .



ثالثا ـ تآكل الشواطىء :

تآكل الشواطىء ليس جديدا على الخبرة المصرية ، فقد صادفنا الكثير من مشاكله قبل التفكير فى بناء السد العالى ، وكانت تتخذ الحلول ـ الوقائية لوقف هذا التآكل ، والعادة أن يمثل الشاطىء والتيارات المؤثرة فيه فى شكل نماذج صغيره تجرى عليها التجارب المعملية . فالموضوع لا يثير فزعا بصورة أو أخرى، وأساليب المقاومة مألوفة فى انحاء العالم ، بل أن دولة كهولندا لم تواجه التآكل فحسب ،، وانما أضافت لرقعتها المزروعة مساحات طائلة كان يحتويها البحر .

رابعا ـ التبخر والتسرب فى حوض الخزان :

المعروف أن كفاءة التخزين تقاس بنسبة ما يفقده حوض الخزان من المياه المخزونة بسبب عاملى التبخر والتسرب . لذلك كان موضوع الفواقد من حوض السد العالى على راس المسائل التى تعرض لها خبراء الهيدرولوجيا قبل البت فى صلاحية المشروع . حيث انتهوا من واقع الخبرة المستمدة من سد أسوان القديم ، الى أنه من جملة سعة التخزين فى حوض السد العالى ومقدارها نحو ١٦٤ مليارا من الأمتار المكعبة لن يتجاوز معدل الضائع بالتسرب مليارا واحدا والضائع بالتبخر تسعة مليارات فى السنة .

والواقع انهم كانوا فى تقديراتهم النظرية أكثر تشاوما مما سجلته التجربة العملية للأسباب الآتية :

١ ـ فيما بين عامى ١٩٦٠ ، ١٩٦٤ أجريت التجارب على الطبيعة لقياس مقدار النفاذية فى الحجر الرملى النوبى المكون لقاع البحيرة وجوانبها باستخدام الأخرام الاختبارية العميقة

وقد دلت التجارب منذ بدء التخزين فى عام ١٩٦٥ على أن معامل النفاذية منخفض جدا بما هبط بالتقدير السابق للتسرب عندما يكون الخزان مملوءا لغايته لأقصى درجة الى اقل من مليار من الأمتار المكعبة .

٢ ــ وعندما ارتفع منسوب المياه بالبحيرة الى حوالى ٤٥ مترا فوق منسوب التخزين فى خزان أســوان القديم لم يظهرا أثر لأى منطقة ضعيفة يمكن أن تتسرب المياه منها بشكل يثــير الانتباه .

٣ ــ كمــا دل البحث على أن ثمــة مواد مضغوطة تملأ الشقوق الموجودة فى حــوض الخزان بحيث يقل معامل النفاذية فيها عنه فى الصخر السليم نفسه .

٤ ــ وعند قياس الفواقد الفعلية من حوض الخزان فى خلال السنوات السبع الماضية ، بمقــارنة التصرفات عنــد مدخل الخزان ومخرجه ، ثبت بالقطــع أن الفواقد الفعليــة تقل عن تقديراتها النظرية كما يتضح من الجدول الآتى :

الفاقد من خزان السد العالى
بالمليار متر مكعب

السنة	أقصى منسوب للتخزين متر	مجموع الفواقد الفعلية من الخزان مليار م٣	الحساب النظرى للفواقد بالتبخر والتسرب مليار
قبل انشاء السد العالى	١٢٠	—	—
١٩٦٤ — ١٩٦٥	١٢٧ر٦٠	ر٣٤٨	١ر٠٣٣
١٩٦٥ — ١٩٦٦	١٣٢ر٧٠	١ر٠٥٣	١ر٨٤٧
١٩٦٦ — ١٩٦٧	١٤٢ر٤٨	١ر٣٦٠	٣ر٨٦٩
١٩٦٧ — ١٩٦٨	١٥١ر٢٧	٥ر١٨٠	٦ر٩١٢
١٩٦٨ — ١٩٦٩	١٥٦ر٥٥	٨ر٣٦٢	٩ر٨٠٧
١٩٦٩ — ١٩٧٠	١٦١ر٢٩	٨ر٢٧٦	٩ر٦٩٤
١٩٧٠ — ١٩٧١	١٦٤ر٨٨	١١ر٤١٧	١١ر٧٧٠

خامسا ــ ملء بحيرة ناصر :

يستبطىء الناقدون فى بعض الصحف الأجنبية ملء بحيرة ناصرا زاعمين انه كان مقدرا أن تصل الى كامل سعتها فى عام ١٩٧٠ . واذا دل هذا النقد على شىء فانما على أن أصحابه أبعد ما يكونون عن العلم بوظيفة السد العالى أو بأسس ملئه وتشغيله . فقد أنشىء المشروع الكبير لأغراض التخزين المستمر الذى يأخذ من فائض السنين العالية لصالح السنين الشحيحة الايراد . وهو بهذا الوصف متقلب السعة متذبذب المنسوب ، فيتراكم فى حوضه الفائض عن احتياجات الزراعة سنة بعد أخرى ، ليتكون منه رصيد يضمن تعويض النهر اذا جرى مرة بالعجز والنقصان . واذن فالوصول بالخزان لكامل سعته رهن بايراد النهر فى السنين القادمة ولا يستطيع عاقل أن يتنبأ بحجم الأمطار التى ينتظر هطولها على منابع النيل فى مواسمها المقبلة .

وهنا يثور سؤال ، لماذا نتعجل ملء الخزان كله فى وقتنا الحاضر ، ان تشغيل البحيرة لأغراض التخزين المستمر مبنى على أساس تذبذب منسوبها ما بين ١٤٧ مترا و ١٧٥ مترا . وقد تم ملؤها المنسوب ٦٤ و ١٦٧ مترا ، ففيم القلق اذن ، اذا كانت أغراض الزراعة والكهرباء مكفولة ومضمونة ومأمونة ؟

ويوضح الجدول الآتى المناسيب التى بلغتها بحيرة السد العالى فى كل عام منذ بدء تخزين المياه بها عام ١٩٦٤ حتى الآن .

وهذه المناسيب تتفق مع كل ما كان مقدرا من قبل ان تصل اليه مناسيب البحيرة خلال تلك السنين مع الأخذ فى الاعتبار

التاريخ	اعلى منسوب بلغته المياه امام السد العالي بالمتر	محتويات البحيرة (مليار متر مكعب)
١٩٦٥/١/١٨	١٢٧٫٦٠	٩٫٣٨٠
١٩٦٦/١/ ١	١٣٢٫٧٠	١٣٫٩٦٥
١٩٦٧/٢/ ٤	١٤٢٫٤٨	٢٥٫٥٦٧
١٩٦٨/١/٢٨	١٥١٫٢٧	٤١٫١٥٧
١٩٦٩/١/ ٧	١٥٦٫٥٥	٥٢٫٩٤٤
١٩٦٩/١٠/٢٣	١٦١٫٢٩	٦٦٫٥١١
١٩٧٠/١٢/ ١	١٦٤٫٨٨	٧٨٫٥٢٠
١٩٧١/١٢/١٦	١٦٧٫٦٤	٨٨٫٨٨٠

ظروف تقدم العمـــل فى انشاء الســد وظروف انقـــاذ معابد ابو سمبل ـــ اذا كان مقدرا ان يصل منسوب الميـــاه فى البحيرة فى اواخـــر ديسمبر سنة ١٩٧١ الى درجـــة ١٦٨٫١٠ متر اذا توالت سلسلة من تصرفات النهر العالية والى درجة ١٦٠٫٧٠ مترا اذا توالت سنتين منخفضة بينما بلـــغ المنسوب الفعلى فى هذا التاريخ ١٦٧٫٦٤ مترا .

سادسا ـــ زيادة الملوحة :

الذين يخشون زيادة الملحة ، انما ينكرون وظيفة المصرف ربما كان للنقد وجاهته لو أن الدولة كفت عن نشر شبكة كاملة لمصرف مياه الرى من جميع الاراضى الزراعيـــة ، ولكن الواقع ان تنفيـــذها يجرى على قدم وســـاق وفق برامج موضوعية

ومشروعات مرسومة .. وأكثر من ذلك يسهم صـــندوق النقد الدولى فى تمويل هذه البرامج .

سابعا ـــ الأمراض المتوطنة :

فى غمار النبش عن اى نقيصة يمكن لصقها بمشروع السد العالى ، تحدثت الصحف المعادية فى الخارج ، عن مرض الملاريا واحتمال انتشاره حول بحيرة ناصر ، ومن مرض البلهـــارسيا واحتمال توطنه فى مناطق الحياض المحولة للرى الدائم .

أما عن بعوض الملاريا فقد صدر فى شأنه حديث رسمى من الجهات المسئولة عن الصحة العامة يفيد نظافة بحيرة ناصر من أى أثر لهذا البعوض الناقل .

وأما عن مرض البلهارسيا ، فالمعروف أن توطن فى أقاليم الدلتا منذ أن انتشر فيهـــا نظـــام الرى الدائم ، ولذلك بادرت وزارة الصحة الى اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية الحديثة لمقاومة القواقع فى مناطق الحياض المحولة بالوجة القبلى .

ثامنا ـــ الثروة السمكية :

من أغرب ما نعته الأبواق الخارجية على مشروع الســـد العالى ، أنه حرم اسراب السردين من العناصر الغـــذائية التى كان يحملها طمى النيل ويلقى بها عند شواطىء الدلتا . ووجـــه الغرابة أن تكون ثمـــة مقـــارنة بين الآثار المترتبة على هجـــرة السردين ، وبين المزايا المترتبة على مشروع ضخم يكفل القوت والرخاء للشعب بأسره .

ووجه الغرابة ايضا أن تتجاهل تلك الابواق أن المشروع

نفسه قد أنشأ بحيرة فى حوضه مساحتها نحو ٦٠٠٠ كيلو متر مربع زاخرة بالثروة السمكية التى ينتظر أن تحقق انتاجا يقدر بنحو ١٦٠٠٠ طن فى السنة .

وعلى الرغم من هذا فقد ظهر من البوادر ما يشير الى عودة السردين الى بعض المناطق الشاطئية ، الى جانب أن أساطيل الصيد الحديثة تعمل على تعقبه فى مواقعه الجديدة .

أن المشروع قد حقق فى عام ١٩٧٠ دخلا يقدر بنحو ١٢٥ مليون جنيه وان هذا الدخل سوف يتزايد عاما بعد عام ليصل انى نحو ٣٣٥ مليون جنيه سنويا عندما يتم الانتفاع الكامل بالمشروعات المترتبة عليه ، وبذلك تبلغ نسبة عوائده السنوية انى جملة تكاليفه نحو ٤٠٪ وهى نسبة لا يحظى بها اى مشروع آخر .

واذا كان البعض يذكر ثمانى حجج واهية ضد السد فها هى ذى ثمانية نتائج ايجابية راسخة للسد العالى :

١ — زيادة الرقعة الزراعية بنحو ٣ر١ مليون فدان جديدة .

٢ — تحويل حياض الوجه القبلى ومساحتها نحو ٧٥٠ الف فدان الى الرى الدائم .

٣ — توليد طاقة كهربية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلووات ساعة سنويا .

٤ — ضمان زراعة الأرز فى مساحة تبلغ نحو مليون فدان سنويا .

٥ — وقاية البلاد من أخطار الفيضانات العالية .

٦ — تحسين حالة الصرف بالأراضى الزراعية لاسيما فى الوجه القبلى .

٧ — تحسين سبل الملاحة بمجرى النيل على مدار العام فيما بين أسوان والقاهرة (*)

٨ — ضمان الاحتياجات الكاملة للأراضى الزراعية فى كل السنين .

ويؤكد المهندس احمد على كمال وزير الرى الحالى والذى عمل مقررا للجنة التى شكلتها اكاديمية البحث العلمى لبحث الآثار الجانبية لانشاء السد العالى : ان بناء السد كان ضرورة حتمية فرضتها الظروف نتيجة الزيادة المطردة فى عدد السكان وضرورة توفير الغذاء للاجيال القادمة . ويقول ان انخفاض الفيضان عام ١٩٧٢ (كما حدث عام ١٩١٣) لم يشعر به أحد . ولولا السد العالى لحدثت كارثة . اننى اقدر — كما يقول — الخسائر والاضرار التى حمانا منها السد فى تلك السنة بأكثر من كل تكاليف انشاء السد .

أما المهندس ابراهيم زكى قناوى الوزير الاسبق فيضيف أن المطابع العالمية اخرجت عشرات الكتب عن الآثار الجانبية للسدود وكيف نتجنبها وذلك لكى تسترشد بها مختلف الدول والهيئات فى العالم « ولذلك فليس هناك جديد فى كل ما يثار حول السد ، لان شيئا منها لم يكن غائبا عن الخبراء الذين أعدوا الدراسات واشرفوا على البحوث وقاموا بالتنفيذ .

لكن أحد كبار المهندسين المصريين الذى انتقل الى رحمة الله أثار قبل وفاته ضجة هائلة خارج مصر للأسف ، وتولى بعض غير المختصين الذين دأبوا على خلط السياسة (التى يعرفونها) بالتكنولوجيا التى يجهلونها ، متابعة جهود المهندس الراحل فى اثارة الضجيج . والمهندس هو المرحوم الدكتور عبد العزيز أحمد ، الذى قيل أنه لم يستطع بسبب « الطغيان » أن يعلن وجهة نظره ضد السد العالى فى مصر فاضطر الى إعلانها فى بريطانيا !

لقد كان عبد العزيز أحمد مهندسا للكهرباء ويعد من الخبراء فى هذا المجال . وكان ينظر اليه باحترام خاص بوصفه أول أو من أوائل الذين حصلوا على الدكتوراه فى هذا المجال من احدى الجامعات البريطانية . ورغم انه لم يكن خبيرا فى الرى أو السدود الا أن وجهة نظره حظيت بكل ما تستحقه من مناقشة وبحث . ويروى المهندس يوسف سميكة مستشار وزارة الرى تفاصيل ما حدث بالنسبة لما اثير حول وجهة نظر الدكتور عبد العزيز أحمد .

يقول المهندس سميكة : وصلتنا دراسة باسم الدكتور عبد العزيز احمد ينتقد فيها مشروع بناء السد . وعندما عرضتها على الوزير موسى عرفه اقترح انّ ندعو الدكتور عبد العزيز أحمد ونناقشه فيها وتشكلت لجنة من الوزير موسى عرفه والمهندس أحمد كمال (وزير الرىّ حاليا) والمهندس يوسف سميكة فى عام ١٩٥٧ . ووافق الدكتور عبد العزيز على أن يناقش اللجنة فى بحثه . وبعد مناقشة مستفيضة وحرة كما يقول المهندس سميكة اقتنع الدكتور عبد العزيز بأن وجهة نظره خاطئة وقال أنه كان قد أعد هذه « الورقة » فى الأصل لكى يناقشها فى جمعية المهندسين البريطانيين ، لكن بعد اشتراك بريطانيا فى العدوان الثلاثى عدل عن فكرة مناقشتها مع المهندسين البريطانيين .

وهنا سأل موسى عرفه : بعد أن اقتنعت كما تقول ان وجهة نظرك خطأ من الناحية العلمية هل ترىَ هناك ضرورة للاحتفاظ بهذا البحث ؟ قال د. عبد العزيز احمد : ليست هناك اى ضرورة . قال موسى عرفه : هل اطمع فى أن نتسلم كل نسخ هذه الدراسة واحتفظ بها لكى لا تستغل من جهات سياسية أجنبية معادية ؟

وعندئذ وافق الدكتور عبد العزيز احمد دون تردد ووعد باحضار كل ما لديه من النسخ وسلمها الى المهندس موسى عرفه ، الذي احتفظ بها فى مكتبه .

ويكمل المهندس يوسف سميكة روايته :

« فوجئت بعد فترة بتلقى رسالة باسمى من جمعية المهندسين البريطانية ، مرفق بها نسخة من بحث الدكتور عبد العزيز أحمد ، مع دعوة لى بحضور المناقشة التى ستجريها الجمعية البريطانية لبحث الدكتور عبد العزيز احمد حول السد العالى . وبالفعل ذهبت ممثلا لمصر واشتركت فى المناقشة مع حوالى ثلاثين خبيرا بريطانيا وعالميا كما اشترك الدكتور عبد العزيز فى الدفاع عن وجهة نظره . وانتهت المناقشة دون أن يؤيد خبيرا واحدا من المجتمعين وجهة نظر الدكتور عبد العزيز احمد .

أن ما يؤكد هذه الرواية شهادة مماثلة لاحد اصدقاء الدكتور عبد العزيز احمد وهو المهندس على فتحى (سابقا مدير خزان أسوان ووكيل مصلحة الطبيعيات واستاذ بكلية الهندسة جامعة الاسكندرية) . والمهندس على فتحى له ايضا تحفظات فيما يتعلق بالسد العالى والآثار الجانبية المترتبة على انشائه ، وتقدم أكثر من مذكرة فى هذا الشأن ، كما شارك فى اللجان التى تبحث كيفية مواجهة هذه الآثار .

وقد سجل المهندس على فتحى ملخصا لوجهة نظر الدكتور عبد العزيز أحمد وهى كما يلى :

« قام المرحوم الدكتور عبد العزيز احمد فى اواخر الخمسينيات بدراسة مفصلة لفواقد التسرب المحتملة من خزان

أسوان السد العالى اذ نفذ المشروع وفقا للتصميمات المقترحة وخلص من تلك الدراسة الى النتائج التالية :

١ — أنه يوجد اتصال بين حوض الخزان وبين طبقات الحجر الرملى النوبى الحاملة للمياه بالصحراء الغربية . وان هذا الاتصال يترتب عليه مكاسب فى ايراد النهر بين حلفا وأسوان بالتسرب من الخارج الى الداخل عندما يكون منسوب المياه فى تلك المسافة منخفضا ويترتب عليه خسائر بالتسرب الى الخارج اذا كان هناك تخزين على منسوب عال .

٢ — انه فى السنوات العشرين التالية لبدء تشغيل الخزان لن يتيسر ملئه للمنسوب المقرر الا بحجز الايراد كله ، لان فواقد التسرب ستكون كبيرة جدا ، وستصل الى ٢٤ مليار فى السنة اذا كانت سعة الخزان ١٠٠ مليار .

٣ — انه فى السنوات العشر التى تلى العشرين الاولى (بافتراض انه امكننا ملء الخزان بطريقة ما) سينخفض معدل الفاقد الى ٦٨ مليار سنويا بسبب تشبع الطبقات الحاملة للمياه وانسداد — فراغاتها جزئيا بالطمى الذى ينزل الى حوض الخزان مع الفيضان .

٤ — انه بعد مرور السنوات العشر المذكورة سيكون متوسط الفاقد ١٧ مليار سنويا . وفى ضوء تلك النتائج وجد الدكتور عبد العزيز أحمد أنه من الأفضل توزيع التخزين على عدة خزانات صغيرة نسبيا تقام على مجرى النيل بين عطبرة وحلفا بدلا من الاعتماد على خزان واحد كبير .

وقد بنى الدكتور عبد العزيز أحمد استنتجاته على مقارنة بين التصرفات الداخلة والخارجة من خزان أسوان القديم حسب تقديرات مصلحة الطبيعيات .

ويقول المهندس على فتحى أن ملاحظاته على استنتاجات الدكتور عبد العزيز احمد هى :

أولا : ان تقديرات ايراد النهر الطبيعى عند أسوان (التى كانت تنشرها مصلحة الطبيعيات تحت اشراف مديرها السابق الدكتور هرست) حسبت بطريقة خاطئة ، يترتب عليها ظهور خسائر وهمية فى الايراد . وهذا يعنى ان النتائج التى توصل اليها الدكتور عبد العزيز أحمد غير صحيحة لانها بنيت على أساس غير سليم .

ويضيف المهندس على فتحى أنه يرى أن الدكتور عبدالعزيز كان على حق فى جانب واحد من جوانب المسألة ، وهو ان التخزين العالى فى منطقة جافة مثل اسوان قد يترتب عليه فواقد كبيرة تقلل كثيرا من قيمته .

وفيما يتعلق بهذه المسألة الأخيرة التى يتفق فيها على فتحى مع عبد العزيز احمد فقد سبق أن تناولها المهندسون والخبراء كما رأينا فى الصفحات السابقة ، واثبتوا نظريا وعمليا عدم صحة ودقة التقديرات التى أدت الى هذا الاستنتاج .

رأى الخبراء الامريكيين

فى نوفمبر ١٩٧١ زار السد العالى ثلاثة من كبار المهندسين الامريكيين هم : مستر وليم ه . وايزلى مدير جمعية المهندسين المدنيين بالولايات المتحدة .

الدكتور وليم ل . هيوز رئيس قسم الهندسة الكهربائية بجامعة اكلاهوما .

السناتور هنرى ل . بلمون عضو المجلس الامريكى .

وبعد انتهاء الزيارة والمامهم بالأبعاد الكاملة للمشروع دون اثنان منهم انطباعاتهم العــامة وتعليقاتهم على ما اثاره البعض من شكوك حول الآثار الجانبية المترتبة على تنفيذه .

قال وليم وايزلى مدير جمعية المهندسين الامريكية فى بيان تحت عنوان : « الناس وتأثير البيئة والسد العالى » :

« أن هناك اليوم اهتماما كبيرا فى الولايات المتحدة لتقييم الآثار البيئية والاجتماعية والاقتصــادية فى التخطيط الهنــدسى للمشروعات الكبرى بصفة عامة .

لذلك فان هذه الفرصة بزيارة السد العالى تهيىء المشاركة فى استعراض هذا المشروع الضخم من ناحية تأثيره على الناس والبيئة . أن العديد من المتحفظين والصحفيين اثاروا اعتراضا على بعض الآثار الجانبية للسد العالى من بينها ما يلى :

.. الشك فى أن بحيرة الســد العالى ستمتلىء ، بسبب ارتفاع نسبة الفاقد بالتبخر والتسرب .

.. ترسيب الطمى بكميات كبيرة فى البحيرة مع فقــدان الخصوبة التى كانت تتمثل فى رسوب الطمى على الأراضى التى كانت تغمرها مياه الفيضانات السابقة .

.. النحر الزائد عن الحد فى مجرى النهر ومنطقة الدلتا .

.. خلق ظروف مواتية لانتشار البلهارسيا والملاريا .

.. زيادة الملوحة فى التربة .

.. انتقال مواقع صيد السردين وابتعادها عن منــاطق مطبات النيل فى البحر الأبيض المتوسط .

وقد أوجز المهندس وايزلى رده على هذه النقاط فيما يلى :

** معدل ملء بحيرة السد العالى :

يجب ملاحظـــة أن الغرض من بحيرة ناصر انما هو تخزين ميـــاه فيضانات النيـــل لتكون مصـــدراً مســـتمرا وثابتـــا لرى الاراضى الزراعية وتوليد الكهرباء — وان ملء البحيرة حتى الان يتم كما كان متوقعـــا — كمـــا انه اتضـــح من الرقابة على ملء البحيرة خلال السنوات الستة الماضـــية أن معـــدلات الفـــاقد بالتبخر والتسرب لا يتجاوز الحدود المقـــدرة لهـــا فى التصـــميم وأنه حتى الآن لم تظهر أى مناطق ضعيفة تتسرب منهـــا الميـــاه بقـــاع البحيرة .

** الاطمـــــاء :

من بين مجموع الستين مليـــون طن من الطمى التى كانت تحملها مياه النيل كل عام كان نسبة ما يذهب منها الى البحـــر مع مياه الفيضان ٨٨٪ — ونسبة ما يرسب منهـــا على الأراضى ليكسبها خصوبة ٩٪ فقط أى حوالى ٤ر٥ مليون متر مكعب — وتقدر الخسارة من عدم ترسيب الطمى على الأراضى بعد السد العالى بما يعادل ١٣٠٠٠ طن من سماد نترات الكالســـيوم فى السنة — وقد اتضح أن تكاليف تسميد الأراضى بهـــذه الكميـــة الاضافية من السماد يقل عما كانت تتكلفه عمليات تطهير ترع الرى من الطمى الذى كان يرسب بها أثناء الفيضانات .

ومع تخزين المياه سيرسب الطمى فى الاحباس العليـــا من بحيرة السد العالى وسيسمح تصميم سعة البحيرة بتخزين ٣٠ مليار متر مكعب من الطمى وتكفى هذه السعة لرسوب الطمى لمدة خمسمائة عام .

** النحر خلف السد :

أحدثت فيضانات النيل كل عـام حالة عـدم استقرار ف شواطىء النهر بسبب النحر ــ وفى الوقت الحاضر تمر الميـا خلف السد العالى خاليـة من الطمى بسرعة كبـيرة ولكن مدى التغيير فى التصرفات كل عام قد أنعـدم ــ وفى مثـل هـذ الظروف المستقرة سيتلاشى النحر تبعا لذلك وتصبح شواطى النهر اكثر استقرارا ــ وسـوف يمكن الوصـول الى مزيد مر التحكم فى حالة النحر بواسطة انشاء قناطر اضافية على النيـل فيما بين القاهرة واسوان .

** الأمراض المتوطنة :

تعد البلهارسيا والملاريا من الأمراض المتـواطنة فى جمي البلاد الحـارة التى ينخفض فيها مستوى المعيشة والتى يعتم فى زراعة اراضيها على ماء الرى ــ وتجرى باستمرار دراسـ مناطق تواجد الحشرات الناقلة لهذين المرضين ــ ولم تظهـ حـتى الآن آثار لوجود بعوضـة « الانوفليس » ببحيرة ناص وبالنسبة للبلهارسيا فقـد وجد أن نسبة الاصابة بها ١٨٪ م بين ٤٠٠٠ صياد يعملون بالبحيرة .

وسوف يصحب التقدم فى الاقتصـاد القومى والعمـل عل الارتفاع بمستوى المعيشة تحسنا فى مسـتوى الصحة العـا وسبل الوقاية من الأمراض وهذا أمر له أسبقية أولى فى مص فى الوقت الحاضر .

** ملـوحة التربة :

ان تراكم الاملاح فى التربة ناتج عن تبخر الميـاه السطح بمعدلات عالية ــ وهذا يمكن تلافيه بتهيئة الوسائل اللازمة لصر



المياه من التربة وفى ذلك فائدة أخرى هى التعجيل باعادة المي
الجوفية الى النهر — ولدى وزارة الرى فى مصر برنامج مستم
لعمل شبكات لصرف المياه من الأراضى يساعد فى تمويله صندو
النقد الدولى .

** الثروة السمكية :**

تسبب على ما يبدو — فقدان المواد الغذائية التى كانت
تحملها مياه الفيضان فى هجرة السردين من المواقع التى يتواج
فيها عند مصبات النيل فى البحر الأبيض وقدرت فى الماضى قيمة
صيد الأسماك من البحر فى هذه المواقع بسبعة ملايين م
الدولارات فى السنة .

ونتيجة لهجرة السردين أعيد انشاء وسائل ومعدات
الصناعة القومية لصيد الأسماك وادخلت عليها أحدث نظم
الصيد فى المياه العميقة مما ساعد على صيد أنواع أخرى م
الأسماك بالاضافة الى السردين .

وتنتج بحيرة ناصر الآن نحو ٢٠٠٠ طن من الأسماك سنوي
وينتظر ان يصل انتاجها الكلى الى ١٦٠٠٠ طن أو اكثر
سنويا .

واختتم وايزلى بيانه قائلا :

« اذا نظرنا الى السد العالى على ضوء مزاياه الحيوية
الكثيرة لشعب يحتاجها نجد أن ما يطلق عليه آثار بيئية هى بكل
وضوح آثار لية غير موضوعية — ومع ذلك فان مركز تنمية
بحيرة ناصر بمدينة أسوان قد توافرت لديه جميع التسهيلات
للقيام بالأبحاث الخاصة بتغيير البيئة فى المنطقة وتجرى فى
الوقت الحاضر دراسات خاصة بالانتفاع بشواطىء البحيرة

ومصايد الأسماك وبحث موضوعات الحشرات الناقلة للامراض والنحر ، وكذلك دراسات مستقلة خاصة بموضوع استقرار شواطىء البحر على الدلتا الذى ظلت مشكلته قائمة منذ أمد بعيد .

ويعتبر السد العالى ولا شك من عجائب الهندسة الحديثة والأهم من ذلك انه يلبى احتياجات الشعب كما انه يعد مشاركة رائعة بين المهن الهندسية فى كل من مصر والاتحاد السوفيتى وكذا المهندسين من بلاد أخرى شاركت فى وضع تصميمات المشروع فى مراحله الأولى وهو بذلك يضمن أحسن ما فى الفن الهندسى من ابداع وسلامة فى التنفيذ .

ولا شك انه لا يوجد مشروع هندسى آخر غير السد العالى اعطى كثيرا لعدد وفير من الناس كانوا فى اشد الحاجة الى التشجيع والمعاونة من الشعوب المتطورة فى العالم — وانه من الافضل للذين يقللون من شأن هذا المشروع الكبير ان ينظروا اليه من الناحية الصحيحة وبالتركيز الصحيح » .

أما الدكتور وليم هيوز — أستاذ الهندسة الكهربائية بجامعة أوكلاهوما فقد قدم بيانا بعنوان « تأملات عند أسوان » وفيما يلى بعض فقرات من البيان تناولت الآثار الجانبية للمشروع ومزاياه :

« ان صحافتنا الأمريكية كانت تجنح بصفة عامة الى وصف مشروع السد العالى بأسوان بعبارات بهار روح التعالى او عبارات تقلل من شأنه — فقد سمعنا مثلا أن السد يتحرك — حقيقى انه يتحرك كما يفعل أى سد كبير آخر وهذه الظاهرة مأخوذة فى الحساب عند تصميم المشروع وسمعنا أيضا ان عدم حدوث الفيضان كل عام سيغير أحوال البيئة بالنهر وطبيعى

ايضا أن هذا سيحدث ــ ولكننا نضيف الى ذلك أن المث
جعل فى الامكان الحصول على محصــولين فى الســنة
محصول واحد وانه اضاف مليون فدان من الأراضى القابلة
لمساحات الأراضى المنزرعة وانه يولد قوة كهــربائية م
ار٢ مليون كيلو وات للتعمــير وكهربة الريف .. وكذ
ايضا من شأنه أن يغير حالة البيئة . وعلى الجانب الآخ
الجانب اللسبى بدا ظهور بعض الأمــراض كنوع من ا
يلزم لحلها اتخاذ اجراءات خاصة وهذا ما يجرى فعــلا
وان يتوقف عملية غمر أراضى الدلتــا بميــاه الفيضان
وجوب اضافة كمية من الأســمدة الكيماوية وأهمهــا
النترات كما وأنه نظرا لعــدم غرق الأهــالى بعــد أن
السد العالى الحماية من الفيضانات فان مشكلة تزايد ا
سوف تتفاقم قليلا ــ والمعروف أن التكنولوجيا تســبب
هذا النوع من التغيرات الطبيعية والسيطرة على ذلك
أساسا على التأكيد أن الخير ترجح كفته على الشر والمصر
علم تام بجميع هــذه المشــاكل ويعملون بجــدارة فى
عليهــا .

والنظام الكهربائى فى مجموعه عنــد أسوان يمكن
عليه بكفاءة عالية وسوف يؤدى خدمات ممتازة لسنوات
مقبلة .

ومجموعة توليد القوى الكهربائية فى أسوان قد ،
بصورة تحفظية للغاية . وهذه سياسة حكيمة لاقامة مثل
الانشاء ــ ومع تشغيل السد العالى بكامل طاقته تجــ
عمليات خاصة بتنفيذ برنامج ضــخم لكهــربة الريف يد
فى ظروف خمس ســنوات تقريبا وهــدف هــذا البرنـ
تزويد سكان القرى بالتيار الكهربائى اللازم لاضــاءة ،
ورفع المياه اللازمة من النيل لرى أراضيهم وتشغيل الآلا
لتنفيذ أعمال كانوا يؤدونها يدويا .

وتستهلك الصناعات الان مقدارا كبيرا من الكهرباء وهذا الاستهلاك مطرد فى الزيادة حتى انه من المنتظر ان يصل الاستهلاك فى مصر عام ١٩٨٠ الى ما يزيد على ما فى وسعها أن تنتجه من الكهرباء ولذلك فهى مثل الولايات المتحدة تبحث عن مصادر جديدة لانتاج القوى .

أن السد العالى فى اسوان هو بلا شك احد العجائب الهندسية الحديثة فى عصرنا الحاضر ويعود على مصر بفائدة اقتصادية هائلة ومع ذلك فان حكومة مصر دائبة على دراسة جميع نواحيه السلبية منها والايجابية : مع مراقبتها والعمل على سرعة معالجتها .

ويلخص المهندس عبد العظيم ابو العطا وزير الرى الأسبق كل ما يتعلق بالسد العالى فى تقرير شهير يقول فيه :

* ان هناك اجماع علمى وهندسى على أن السد العالى يعد من أهم الانجازات الهندسية العظمى فى العالم .

* ان السد العالى يعد اكثر المشروعات صلاحية لضبط مياه النيل والتحكم فيها ، واكثرها قدرة على الوفاء الكامل بتحقيق اهدافه ، كما ان من مميزاته أنه مشروع مصر داخل حدود مصر .

* أن الحاجة كانت عاجلة وملحة لتوفير مزيد من المياه من أجل الزراعة ومواجهة الزيادة الكبيرة فى السكان .

وقد تحققت كل اهداف انشاء السد واولها حجز مياه النيل التى كانت تذهب هباء الى البحر كل عام . ثم امتلأت بحيرة ناصر أمام السد لأول مرة الى نهاية سعتها المخصصة للتخزين المستمر ، حيث ارتفع منسوب المياه فيها الى ١٧٥ مترا فوق سطح البحر . وهو الحد الأقصى الذى يفى باحتياجات الزراعة فى مصر والسودان .

ثم تحققت أهداف أخرى لا تقل أهمية كما يقول المهندس أبو العطا وهى :

* تحسين المناوبات الصيفية ، وضمان الاحتياجات المائية لجميع الزراعات القائمة والمستجدة .

* التوسع فى زراعة الأرز ، حيث بلغت المساحة المنزرعة منه عام ١٩٧٤ حوالى ١٫٠٥٣ مليون فدان .

* التوسع فى زراعة الذرة الصيفى والنيلى ، حيث وصلت مساحتها عام ١٩٧٤ الى ٢٫٢٥٤ مليون فدان .

* تحويل الأراضى الحوضية الى الرى الدائم فى مساحة ٩٧٣ الف فدان ، وأمكن زراعتها محصولين بدلا من محصول واحد ..

* اضافة مساحة جديدة من الأراضى المستصلحة بلغت ٩٣٢ الف فدان ، موزعة على محافظات الجمهورية .. ادت الى رفع المساحة المحصولية عام ٧٤ الى ١١٫٣٣ مليون فدان ..

* تحسين حالة الملاحة .. نتيجة الأستقرار مناسيب المياه بمجرى النيل ..

* بلغ صافى الدخل الزراعى عام (٦٣/٦٤) اى قبل انشاء المرحلة الأولى من السد العالى ٤٧٥٫٠٠ مليون جنيه ، أرتفع الى ٧٧٥٫٦٤ مليون جنيه عام ٦٩/٧٠ ، ثم وصل الى ١٠٢١٫٤ مليون جنيه عام ٧٣/١٩٧٤ ..

أى أن صافى الدخل الزراعى قد زاد منذ عام ٦٣/٦٤ الى عام ٧٣/١٩٧٤ — بمقدار ٥٤٦٫٤ مليون جنيه ..

ويقدر صافى الدخل الزراعى لعام ٧٤/٧٥ بنحو ١٣١٠ مليون جنيه ..

* بلغت الطاقة المولدة من محطة توليد كهرباء السد العالى ، منذ بدء تشغيل أولى التربينات فى أواخر عام ١٩٦٧ ، وحتى نهاية عام ١٩٧٤ حوالى ٢٢ مليار كيلو وات ساعة .. تعادل وفرا فى الوقود المستهلك لتوليد الكهرباء حراريا ، مقداره ٧٫٤٠ مليون طن ، قيمتها ٥٥٫٦٨ مليون جنيه .. ويقدر ثمن هذه الطاقة بحوالى ١١١ مليون جنيه ..

* كان انتاج مصنع كيما للسماد عام ٦٢ — ٦٣ (أى قبل انشاء المرحلة الأولى من السد العالى) يقدر بمبلغ ٨٫١٢ مليون جنيه ، وارتفعت قيمة انتاج المصنع عام ٧٠ — ٧١ الى ١٤٫٦٠ مليون جنيه .. كما بلغت جملة الزيادة فى انتاج مصنع كيما خلال الأعوام : ١٩٦٣ الى ١٩٧١ مالا قيمته ٣٧٫٦١ مليون جنيه ..

* خلق مجال فسيح لتشغيل الآلاف من العمال .. وفتح ابواب الرزق لها .. اذ بلغت العمالة فى مشروع السد العالى والمشاريع المترتبة عليه من بدء العمل حتى انتهائه ٢٤٥ مليون عامل

* تهجير أهالى بلاد النوبة ، الى موطنهم الجديد بكوم أمبو وتهيئة المجتمع المناسب لاقامتهم .. مع توفير المرافق والخدمات الضرورية لخلق مجتمع جديد متكامل ..

* تحسين الثروة السمكية .. والمستهدف حاليا هو رفع كفاءة انتاج بحيرة ناصر ، للوصول الى ٤٠ طن يوميا ..

* وقاية آثار مصر الخالدة — من غرق كانت تتعرض له مع فيضان كل عام ، ونشطت أعمال البحث والتنقيب .. ونقلت المعابد الاثرية الى حيث أصبحت بعيدة عن مياه النيل .

* خلق جيل من المهندسين ، والفنيين ، والعمال — المهرة

ـــ الذين اكتسبوا خبرة وكفاءة فى تشغيل وتنفيذ وادارة المشروعات الهندسية الكبرى ..

* وتعد هذه فى حد ذاتها ، زادا وفيرا يعين على انطلاقة اكبر ، واشمل ، فى مثل هذه الأعمال الكبرى .. ليس فى مصر وحدها ، وأنما على امتداد الوطن العربى والأفريقى كذلك ..

ثم يرد المهندس عبد العظيم أبو العطا مرة أخرى على جنرالات الحملة على السد قائلا « ان السد العالى لم يفقد أرض مصر خصوبتها ولم ينحر قاع النيل ولم تتهايل جوانبه ولم يتصدع او يهبط جسم السد ولم تتسرب مياهه أو يضيع مخزونه نحرا وتسربا ، كل ما تركه السد من آثار ـــ كما يقول ـــ وما صاحبه من ظواهر كانت أمرا طبيعيا ، بقى فى حدود المسموح به ، بل ودون ذلك بكثير.

وحسبنا ـــ كما يضيف ـــ أن نجرى كشف حساب لجملة الانفاق على أنشاء السد العالى والعائد على الدخل القومى بسبب أنشائه لكى نتحقق مما يثار له أو عليه :

* بلغ جملة الانفاق على أنشاء السد العالى ٥٠٠ مليون جنيه ، وتشمل جميع انشاءاته .

* استهدف السد العالى والمشروعات المترتبة عليه تحقيق زيادة مباشرة فى الدخل القومى للبلاد قدرت بنحو ٢٣٤ مليون جنيه ، وتقدر الزيادة فى الأنتاج القومى عام ١٩٧٣ بحوالى ١٠٠ مليون جنيه .

* لا شك أن هناك مجالا لزيادة هذا الأنتاج بعد الأنتهاء من مشروعات التوسع الزراعى الأفقى المستهدفة ، ورفع كفاءة

المساحة المنزرعة حاليا ، وبعد الاستفادة الكاملة من الطاقة الكهربائية المولدة من السد العالى .

.. لكن من جهة اخرى كما يذكر المهندس ابو العطا فان السد العالى كفانا او حمانا فى ثلاثة أعوام من اضرار وكوارث الفيضان الخطر عام ١٩٦٤ والفيضان البالغ الخطورة عام ١٩٧٥ ومن مخاطر القحط الشديد لفيضان غاية فى الانخفاض عام ١٩٧٢ .

وفى تقديره ان السد العالى جنبنا هذه الكوارث الثلاثة بما لا يقل تقديره عن عشرة آلاف مليون من الجنيهات أو عشرين ضعفا لما انفق عليه . وكان ذلك حتى عام ١٩٧٥ اى قبل كوارث المجاعة والجفاف الحالية بعشرة أعوام !

ملحق ::

* بيان عن اتمام بناء السد العالى .
* خطاب الرئيس انور السادات في المؤتمر الشعبى باسوان بمناسبة انتهاء العمل في بناء السد العالى (١٥ ينساير عام ١٩٧١) .
* خطاب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر اثناء الاحتفال بتحويل مجرى النيل في ١٤ مايو سنة ١٩٦٤ .
* بيانات عن السد العالى .

محطة القوى المائية في اسوان
وثيقــة اتمـــام وتشــغيل

وقعت وثقية اتمام وتشغيل محطةتوليد القوى في اســـوان وســـط احتفالات جرت بعد ظهر يوم ١٥ ينــــاير . وقد وقع الوثيقة نيقولاى بودجورنى رئيس مكتب رئاسة السوفيت الاعلى لاتحــاد الجمهـــوريات الاشـــتراكية السوفيتية وانور الســـادات رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

باسم الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحــدة نعلن هنا أن بناء سد أسوان العالى قد انجز بنجاح فى الموعد المحدد له . لقــد كانت ثورة ســـنة ١٩٥٢ المجيــدة — التى مكنت الشـــعب المصرى من القضـــاء على الاســـتعمار وتطوير قدراته الخلاقة من اجل التقدم والرفاهية — شرطا هاما من اجل هـــذا المشروع العظيم . أن الأتمام الناجح لبناء سد اسوان العـــالى انتصار عظيم للشعب المصرى يكشف عن تصـــميمه الحازم على السير فى طريق التقدم الاجتماعى والاقتصادى ، الطــريق الذى رسمه ابن مصر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .

ويمثل هذا البناء العملاق انجازا عظيمـــا ســـوف يحفظـــه التاريخ الى الأبد تخليدا لذكرى القائد الخالد جمال عبد النـــاصر .. وسيظل يحمل اسمه على الدوام .

لقد مد الشعب السوفيتى يد الصداقة للشعب المصرى وقدم له المساعدة الأخوية دون أية شروط من أى نوع — سواء أكانت سياسية أو غيرها — فى انجاز مشروع القوى المائية فى أسوان . لقد فعل الشعب السوفيتى ذلك مهتديا بالمبادىء اللينينية عن التعاون الودى فى جميع المجالات مع الشعوب المكافحة ضد الامبريالية والاستعمار ، من اجل حريتها واستقلالها وتطبيقا للاتفاقيتين اللتين وقعتا فى القاهرة فى ٢٧ ديسمبر ١٩٥٨ ، وفى موسكو ٢٧ أغسطس ١٩٦٠ ، قدم الاتحاد السوفيتى للجمهورية العربية المتحدة المساعدة والقروض اللازمة من أجل بناء السد العالى المهيب على نهر النيل .

أن محطة القوى المائية فى أسوان فريدة فى نوعها ليس فقط بسبب تصميمها الفنى وانما أيضا بسبب مدى وحجم العمل الذى جرى تنفيذه . ويقدم هذا البناء صيحة جديدة فى التصميمات العالمية للمشروعات المائية ، وانجازا رائعا للفكر التكنولوجى السوفيتى ، ونجاحا للعلم والتكنولوجيا السوفييتين ، وهو نتيجة للتعاون الخلاق المثمر بين العلماء والمهندسين والعمال السوفيت والمصريين ، ولقد كان هذا البناء الجليل حافزا على تدريب عشرات الالوف من المصريين الذين أصبحوا فنيين على درجة عالية من المهارة .

لقد كان بناء سد أسوان العالى مساهمة عظيمة فى تطور الاقتصاد القومى للجمهورية العربية المتحدة . وسوف تكون الطاقة الكهربائية المتولدة عن محطة أسوان للقوى المائية التى تبلغ قدرتها مليونين ومائة الف كيلو وات قاعدة صلبة لانتاج القوى اللازمة لتصنيع البلاد وتطوير زراعتها وخلق فروع جديدة للاقتصاد . لقد اصبحت أسوان نموذجا صادقا للعلاقات

الصحية والمتكافئة بين الدول ، وبرهانا حيا على أن البلاد الفتية النامية تستطيع أن تحقق نجاحات كبرى فى تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى بالتعاون مع قوى الاشتراكية .

وفى أثناء بناء سد أسوان العالى والمشروعات المرتبطة به توثقت العلاقات الودية بين شعوب الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة .

ولسوف يظل سد أسوان العالى الى الأبد رمزا للصداقة السوفيتية العربية الراسخة .

وفى هذا اليوم المجيد بالنسبة لشعب الجمهورية العربية المتحدة يقرر الجانبان ان الصداقة والتعاون وهما يتطوران بين شعوب الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة انما يضربان بجذور عميقة ويتسمان بطبيعة دائمة غير عابرة أو مؤقتة . انهما يرتكزان على الأساس الصلب لوحدة النضال من أجل السلام العالمى ، وحرية الشعوب ، والتقدم .

نيقولاى بودجورنى	انور السادات
رئيس مكتب رئاسة السوفييت الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية	رئيس الجمهورية العربية المتحدة

١٥ يناير سنة ١٩٧١

خطــاب الرئيس انور السادات
فى المؤتمر الشعبى بإسوان

بســـم الله ..

قبل أن ابدأ حديثى أيها الأخوة لابد لى أن أتوجه الى الأخ والصديق الرئيس بودجورنى باسمكم بخالص الشكر والعرفان على قرار الحكومة السوفيتية بكهربة الريف المصرى . أن هــذا القرار يسجله شعبنا مع قرارات عرفناها فى ساعة الظلام .

واليوم ونحن نبنى بلدنا يمد الاتحاد السوفيتى المســاعدة ليس فقط فى ساعات الظلام والشــدة وانمــا لكى نبنى بلــدنا وننير قرانا لكى نطور مجتمعنا فى ساعات الشدة وفى ســاعات الرخاء لن ننسى للاتحــاد الســوفيتى ابدا هــذه القــرارات ، وباسمكم اقول لهم سنكون دائما الاصــدقاء الأوفيــاء الاقوياء .

أيها الأخوة ..

لا يسعنى أن أبدأ هذا الحــديث من هــذا الموقع فى هذه المناسبة الا بذكر انسان عظيم كان له الفضــل الاول والاكبر فى

بلوغ الهدف وتحقيق الحلم . أن جمال عبد الناصر وسد اسوان العالى كلاهما رمز عظيم ، الأول جمال عبد الناصر رمز للأمة ، والثانى : السد العالى رمز للطاقة لهذه الأمة . ولقد امتزج كلاهما بالآخر الى درجة يمكن أن نقول معها ان السد العالى يستطيع ان يحكى كل جوانب القصة الهائلة لعمل ودور جمال عبد الناصر . كما أن دور وعمل جمال عبد الناصر يمكن ان يروى القصة الهائلة لبناء السد العالى .

ومن عجب — ايها الأخوة — أن نتذكر ان جمال عبد الناصر فى آخر خطاب رسمى وشعبى له امام جماهير امتنا فى ٢٣ يوليو الماضى حرص على ان يبدأ ذلك الخطاب وبطريقة ملفتة للنظر الان برسالة جاءته من وزير السد العالى يخطره فيها بأن السد العالى قد تم بناءه ، كانه كان يريد ان يقول لنا أن الأمل تحقق ، كانه كان يريد أن يقول لنا أن الطريق واضح .

وأن نلتقى اليوم هنا بعد رحيل القائد الخالد لنحتفل مع اعز الأصدقاء بتمام وكمال هذا البناء الانشائى الكبير ، كان هناك معانى لا يمكن أن تغيب عنه . أمامنا هنا الحياة التى ظلت احقابا طويلة وقرونا طويلة تنتظر ارادة التغيير وكان هذا هو الحلم . امامنا هنا سيرة البطل الذى استطاع أن يحمل فى صدره آمال امته المكبوتة ثم يفجرها فى دعوة للثورة . امامنا هنا انجاز عظيم قام به شعب أصيل ولم يكن هناك غير شعب اصيل يتحمل مثل هذه المسئولية الكبرى شعب اصيل حافظ على آماله عبر العصور . ثم استجاب لقيادته الوطنية فى لحظة حاسمة من تاريخ النضال يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . باختصار امامنا هنا — أيها الأخوة — الحلم ، والقائد ، والعمل ،

أو بشكل آخر امامنـــا هنـــا ــ أيهـــا الآخوة ــ المبدأ والثورة والشعب .

وهناك معانى أخرى ــ ايها الآخوة ــ نستشعرها فى هذه اللحظة المجيدة . ان نحتفل بتمام وكمال بنـــاء السد العالى فى غياب بطله فذلك معنى الاستمرار . وأن نحتفل بتمام وكمـــال بناء السد العالى وسط جو المعركة فذلك معنى الاصرار . وان نحتفل بتمام وكمال الســـد العـــالى وسط أخلص الاصـــدقاء ، فذلك معنى اننا لسنا وحدنا فى المعركة . وانما معنـــا كل قوى الخير والمحبة والحرية والسلام فى هذا العالم .

ايها الأخوة الاصـــدقاء :

من دواعى سعادتى ومن دواعى الشرف أن اقف فى هـــذه المناسبة امام التأييد الكبـــير والفعال الذى قدمه لنـــا الاتحـــاد السوفيتى وشعوبه العظيمة وقيادته المقتـــدرة فى تشييد هـــذا العمل الكبير وهذا الرمز الكبير فى نفس الوقت .

أن دور الاتحاد السوفيتى فى هذا العمل العظيم لا يحتاج منى الى مقارنة بدور سواه . ولكن المكـــان هنـــا والمناسبة الان والجو المحيط بنا والشواغل التى تلح علينا تفرض أشارة الى هذه المقارنة . كان هنا على هذه الأرض تعهد أمريكى بالمساعدة فى بناء السد العالى ولكن الذين قطعوا على أنفسهم هـــذا العهد كانوا هم الذين كسروه ونقضوه وتصـــوروا بذلك انهم قادرون على أن يهزوا ثقة امتنا بنفســـها وبأحـــلامها وقيـــادتها الثورية وآمالها فى التطور والثورة .

توجه جمال عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى . لم يكن الاتحاد الســـوفيتى مقيـــدا بالتزام ولا بوعـــد ومع ذلك تقـــدم وتم بناء السد العالى .

ان الوعد الأمريكى المكسور لم يكن أول وعد ولا اخر وعد قطعه ثم نقضه أصحابه .. والدعم السوفيتى لنا فى بناء السد العالى لم يكن أول ولا اخر دعم قدم لنا أو بالاصح قدم تعبيرا عن آمال الحرية والسلام للشعوب المتطلعة اليهما والمتمردة على الاستغلال الاستعمارى والقهر الامبريالى .

ان الوعود الأمريكية المكسورة والمنقوصة فى كل ناحية لم يكتف أصحابها بكسرها ونقضها فقط ولكنهم تمادوا فيما هو اكثر من ذلك ووقفوا بالعمل موقفا معاديا لكل ما حاولوا تزيينه بالقول ..

سنة ٥٣ كان منهم وعد السلاح .. كسروه ونقضوه .. واعطوا السلاح لاسرائيل .

سنة ٥٦ كان منهم وعد المساعدة فى بناء السد العالى .. ما حدث تعرفونه جميعا .

سنة ٥٧ كان منهم وعد ترك التطور السياسى والاجتماعى يأخذ طريقه الحر فى المنطقة بحيث لا يفرض عليها ما هو مضاد لارادتها .

فى نفس السنة كانت منهم مؤامرة محاولة غزو سوريا .. ومع ذلك مالنا وللتاريخ البعيد .. سنة ٦٧ كان منهم وعد التعهد بالمحافظة على السلامة الاقليمية لدول المنطقة .. فى نفس الوقت كان منهم كله تأييد العدوان الاسرائيلى ومباركة لخططاته .

سنة ٦٨ كان وعدهم بالمساعدة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن .. فى نفس السنة اعطوا لاسرائيل طائرات الفانتوم .
سنة ٦٩ كان وعدهم بضرورة حل الأزمة . فى نفس السنة كان انحيازهم كاملا لاسرائيل .

سنة ٧٠ كان وعدهم الذى تمثله مقترحات روجرز ، فى نفس السنة أعطوا اسرائيل ٥٠٠ مليون دولار لكى تزداد صلافة وكبرياء فى رفض كل محاولة للسلام القائم على العدل ، بل فى هذه الأيام من سنة ٧١ نسمع رغبتهم فى السلام ، وفى نفس الوقت نجد دعمهم للعدوان والاستمرار فى احتلال أراضينا وللاهدار الكامل لحقوق شعب فلسطين .

أن وعدهم المكسور المنقوض فى السد العالى حلقة فى سلسلة مستمرة بما لا يترك أمامنا الا مجالا للاعتقاد بأن ما نحسه هو خط سياسى أمريكى مرسوم يعادى آمال الأمة العربية ، ويهدد تطلعاتها المشروعة فى تطور سلمى يبنى للحياة ولا يستنزف نفسه فى الحرب .

أن كل وعد أمريكى مكسور ومنقوض يقابله — أيها الأخوة — وعد سوفيتى تحقق أو هو فى سبيل التحقيق . فى كل المجالات أمل وعمل ، فى الصناعة فى استصلاح الأراضى فى مد شبكات الكهرباء . فى السلاح فى التدريب . فى المساندة السياسية اللامحدودة واللامشروطة لانها واثقة من أن موقفها شركة فى الدفاع عن الحرية وفى الدفاع عن السلام .

أيها الأخوة ..

اننى أريد فى هذه الفرصة ، ونحن على أبواب امتحان حاسم فى تاريخ شعبنا وأمتنا وفى مسار نضالنا وعلمنا أيضا ، أن أحدد أمامكم موقفنا بطريقة لا تقبل الشك ولا التأويل .

أولا : اننا نطلب السلام القائم على العدل .. ومطلبنا فى السلام حقيقى لأن أمامنا كثيرا من مهام السلام تتمثل فى البناء والتعمير والتطوير لطاقات شعبنا الاقتصادية والاجتماعية .

ثانيا : انتا لا نستطيع أن نرضى باستمرار الاحتلال لأراضينا ونحن نعتقد أن الواجب المقدس ، بل أن الحق المقدس لكل شعب وكل أمة يتمثل فى الدرجة الأولى فى الدفاع عن اراضيها ضد المستعمرين والغزاة مهما كانت قوتهم ومهما كان سندهم .

ثالثا : اننا قبلنا بقرار مجلس الأمن معتقدين أنه يحوى معظم عناصر الحل العادل لأزمة خطيرة فى مكان خطير من العالم .

واذا كنا نشعر بالتزاماتنا تجاه اراضينا فاننا نشعر أيضا بالتزام أمام السلام العالمى .

رابعا : اننا لم نذهب الى الأمم المتحدة لنتوه فى المناورات العقيمة ولا لنغرق فى الصياغات الغامضة ولكننا ذهبنا نطلب حلا على اساس مبادىء القانون الدولى والشرعية الدولية ولقد تعاونا الى ابعد حد مع المجتمع الدولى ورحبنا بدور كبير للدول الأربع الكبرى باعتبار مسئوليتها الخاصة بحكم عضويتها الدائمة فى مجلس الأمن ولم نكن بذلك نستوفى شكلا وانما كنا فى الحقيقة نطلب حلا .

خامسا : أن أمتنا العربية مصممة .. أن شعبنا المصرى قادر .. أن قواتنا المسلحة تعرف واجبها .. أننا نريد السلام اذا كانت للسلام فرصة ولكننا مطالبون أولا وأخيرا بتحرير الأرض وبتحقيق الارادة الوطنية والقومية .

سادسا : أن شعب فلسطين ليس مجموعة من معسكرات اللاجئين ولكنه شعب له كل الحقوق الوطنية .. أن قضيته

ليست مسالة عطف انسانى ولكنها قضية وجـود سياسى بكـل ما يترتب على ذلك من القيم والمعانى .

أيهـا الأخـوة ..

أنكم قد سمعتم وسوف تسمعون هنا كثيرا من غيرى عن حجم السد العالى وعن مقدار الجهد الذى بذل فيه وعن الآمال الواسعة والمنجزات الكبرى التى ترتبت وسوف تترتب على تمام بنائه وكماله ولكنى اريد مرة أخرى وقرب ختام حديثى اليكـم أن اتحدث عن الرمز فى السد العـالى بعد أن سمعتم وتسمعون كثيرا عن العمل الذى تم فيه .

أن السـد العـالى معـركة تمت واكتملت بالانتصار .. والانتصار هو انتصار الأحرار .. وأنتصار الارادة ، وانتصـار للجهد العلمى المنظم .. وانتصار صداقة الحـرية والسلام .

والرموز الكبرى فى حياة الأمة ليسـت حادثة تقع وتنسى وانما الرموز الكبرى فى حياة الأمم أشارة الى طاقات مستمرة .

أننا اليوم نعلن انتصارنا فى معـركة .. وغـدا نحن على أبواب تحـد اخـر .. ولكن الاصرار هو نفس الاصرار .. والارادة هى نفس الارادة .. والجهد العلمى المنظـم هو نفس الجهد العلمى المنظم .. وصداقة الحرية والسـلام هى نفسها صداقة الحرية والسلام .

اننى أريد هنـا أيها الأخوة ان احيى مرة أخرى ذكـرى القائد الذى رحل وفى نفس الوقت أحيى جهد شعبه الباقى الى الأبد .

اننى أريد أن أحيى مرة أخرى قيمـــة االقصـــداقة العربية السوفيتية ممثلـــة فى الصـــديق نيكولاى بودجورنى .. وفى نفس الوقت أحيى أصالة هـــذه الصـــداقة العـــربية السوفيتية واستمرارها وأحيى مرة أخرى عمق مشاعرنا تجـــاه أخوة لنـــا وأصدقاء أخص منهم بالذكر الذين شاركونا هنـــا من الســـودان وليبيا والصومال وكل رؤساء الوفود الذين يلتقون معنا اليـــوم ذاكرا بالصدق محبتهم لنا وتأييدهم أيضا .

كما اننى لابد لى أن أشيد بالجهد المشترك للعمال والمهندسين العرب والسوفييت ذاكرا أن الاصـــدقاء العـــرب والسوفييت مازالت أمامهم منجزات أخرى .

اننى أريد أن أحيى مرة أخرى الصداقة العربية السوفيتية العظيمة مجددا ومؤكدا انها شركة فى الكفاح من أجـــل الحـــرية والسلام وضد الاستعمار والعدوان .. صـــداقة النضـــال .. صداقة الكفاح من جل انتصار الحق .

واليوم — وكما قلت لكم — ونحن نحتفل بانتصار استطعنا أن نحققه لابد أن ننتظر بعون الله سبحانه وتعـــالى وتوفيقـــه ومشيئته انتصارا آخر ليس هناك بديل عن تحقيقه .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر من موقع السد العالى
اثناء الاحتفال بتحويل مجرى النيل
فى ١٤ مايو سنة ١٩٦٤

أيهـا الضيوف .. أيهـا المواطنون .. فى هـذه اللحظة الحاسمة والمجيدة من لحظات النضال والانتصار أريد أن ابدأ بالتحية الى كل ابطالنا الذين شاركوا فى الارادة المصرية لتعيد بناء مصر من جديد بالعمل وبالكرامة .

الى الرجال الذين وقفوا فى مطلع القرن التاسع عشر يرفعون رؤوسهم ضـد استبداد الامبراطورية العثمانية ويتحـدون ظلم المماليك وطغيانهم .

الى الرجال الذين اقتحموا طاقات أولى للفكر الثورى المصرى واعادوا اتصاله بمجرى الحضـارة العالمية فى منتصف القرن التاسع عشر .

الى الرجال الذين التفوا من حول احمد عرابى ، فى أول محاولة للثورة المسلحة ضد أسرة محمد على ، وضـد مؤامرات الدول الاسـتعمارية الكبرى . وضـحوا بالدماء فى معـارك الاسكندرية والتل الكبير .

الى الرجال .. والنساء .. الذين تحملوا مسئولية الثورة الشعبية سنة ١٩١٩ ، وكانوا وقودها .. وكانوا ضحاياها ، وتلقت صدورهم رصاص الاستعمار من الأمام ، ثم وجدوا الرجعية تسرق منهم ثورتهم وتزداد ثراء على حسابهم بها !

الى الشباب .. الذين سقطوا فى انتفاضة سنة ١٩٣٥ وهم ينادون بالدستور والديمقراطية واذا بالرجعية الحاكمة تطعنهم بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ .

الى زهرة شباب مصر الذين جادوا بالدم على أرض فلسطين الحبيبة فى محاولة يائسة لعرقلة قضية المؤامرة الكبرى ضد الأمة العربية لاقامة اسرائيل وسطها قاعدة للاستعمار ونقطة ارتكاز وتهديد .

الى الرجال الذين خرجوا فى تصميم فجر يوم ٢٣ يوليو يغيرون مجرى التاريخ فى بلادهم على أضواء الصباح الأولى .. يدفعون رءوسهم ثمنا لتصميمهم يفجرون الثورة ويسجلون فى التاريخ أن الجيل المعاصر من شباب مصر ، رفض أن يستسلم وتمرد على الخضوع .

الى الرجال .. والنساء .. والأطفال الذين صنعوا معجزة المقاومة ضد العدوان الثلاثى ، فى منطقة قناة السويس ، وفى معارك سيناء ، وبورسعيد ، وفى المدن التى تعرضت للغارات ليل نهار .

الى الجنود البواسل الذين قاتلوا دفاعا عن ثورة الشعب العربى فى اليمن والذين تحركوا انتصارا لثورة الشعب العربى فى الجزائر .

الى الجماهير الصابرة ، التى تحملت معارك الحرب النفسية والحصار الاقتصادى ، ودفعت التكاليف الباهظة لعمليات التطوير والبناء .

الى الطلائع العاملة من فلاحى مصر وعمالها وعلمائها ومثقفيها الذين اداروا قناة السويس بعد تاميمها .. وانشأوا الصناعات الكبرى وتحملوا مسئوليات ادارتها .. واضاءوا بحماستهم وفكرهم طريق المستقبل الجديد وضاعفوا الانتاج مرة ويضاعفونه الآن مرة اخرى .

الى هؤلاء جميعا (قبل اى حديث) تحية النضال والانتصار .

يا رجال مصر . يارجال مصر . ويانسائها واطفالها ، هنا أمام الدنيا كلها ، رمز حى لارادتكم وتصميمكم ومقدرتكم على العمل وعلى الفداء .

هنا بهذا السد العالى تذكار انتصاركم على كل اعتداء ، وعلى كل الصعوبات .

هنا صورة رائعة لاحلامكم ، صنعها العمل الذى يحرك الجبال ، ويخضع الطبيعة لارادة الانسان مهما دفع من الدم والعرق ، ليؤكد سيطرة الانسان بروح ربه وهداه ، على الحياة لتكون شرفا له وليكون شرفا لها .

ايها الأصدقاء . ايها المواطنون .. ليست هناك بقعة من الأرض تصور المعركة العظيمة للانسان العربى المعاصر ، فى أبعادها الشاملة ، كهذا الموقع الذى نقف أمامه على سد أسوان العالى .

هنا تختلط المعارك السياسية والاجتماعية والقومية والعسكرية للشعب المصرى .. وتمتزج كأنها كتل الأحجار

الضخمة ، التى تسد مجرى النيل القديم وتخترق مياهه فى اكبر بحيرة صنعها الانسان لتكون مصدرا دائما للرخاء .

ان فلاح مصر قضى قرون الزمان الطويلة يحلم بالأرض ، والأرض — تحاصرها الصحراء من كل ناحية ، والأرض ينهبها الاقطاع ، وثروة مصر لم تكن موجهة الى تطوير معظم مصر ، وانما كانت كلها تتسرب الى جيوب كبار الرأسماليين المستغلين، ومعظمهم من الأجانب ، يتسترون وراء قلة قشرة رفيعة من المصريين .

وصناعة مصر ، لا تتحرك لخدمة الجماهير ، وانما تخدم الطبقات المالكة ، وتفرض الثمن كله ضريبة على الطبقات العاملة ، وناتج العمل الوطنى ، لا يترك بعد النهب المنظم والاستغلال فائضا يكفى ، لخدمات التعليم والصحة والمواصلات فضلا عن خدمات التأمينات الاجتماعية .

وحين أخذت الارادة الثورية المصرية على عاتقها تنفيذ مشروع السد العالى ضمن الخطة الثورية الكاملة للتطوير . كان ذلك كله فى ضميرها ووجدانها . كان الطريق الى تخليص الأرض المصرية من سيطرة الاقطاع وكان فى أملها ان يخلصها من سيطرة الصحراء وتضيف اليها ما يقرب من نصف مساحتها القديمة . كانت تقيم الصناعات وتبنى محطات الكهرباء وكان أملها فى كهرباء السد العالى أن تضاعف مرة واحدة بعمل واحد ، كل طاقة الكهرباء فى مصر ، ما كان موجودا منها قبل الثورة ، وما أضيف اليها بعد الثورة ولقد وقف فى طريقها كل الذين كانت ترتبط مصالحهم بالأوضاع القديمة البالية ، وقفت الرجعية ضدها للتشكيك فى المشروع ، ثم فى قدرة الشعب المصرى على تنفيذ المشروع .. ثم وقف الاستعمار ضدها ،

بكل الوسائل ، لا يريد لسد اسوان العالى أن يرتفـــع من قيمته المادية كعمل وبكل قيمته المعنوية كرمز .

ولقد حاولت قوى السيطرة والاستعمار ، وناورت ، تقدمت للمساهمة فى المشروع لتركز على مســـاهمتها الآمال والخطط ، ثم تتخلى بعد ذلك فجأة ، فتنهار الآمال والخطط ، وكان التدبير أن تنهار الثورة .

ايها الضيوف .. أيها المواطنون .. أن الشعب المصرى عاش اروع لحظاته وتحدى كل هذه التقديرات الخائبة فى الوقت الذى أنتظروا فيه أنهيار الآمال والخطط والثورة ، وتراجعهـــا جميعا أمام المفاجأة الغادرة ، تقفـــز الشـــعب المصرى الى الأمام وضرب ضربته الخالدة ، لتأميم قنـــاة الســـويس يبنى بدخلهـــا الســـد العالى بأسوان .

ولم تكن تلك هى المفاجأة الغادرة الأخيرة ،فلم تمض الا شهور قليلة حتى أقبلت اساطيل الغزو وجيـــوشه ، تريد أن تقتحم شواطىء مصر واجوائها لتحطـــم الارادة الثـــورية المصرية التى أثبتت أنها أقوى من جميع أعدائها ، كانت فى وقفتها العظيمـــة تمثل الحياة ، وكان أعداؤها هم أعداء الحياة .

ان الارادة الثورية المصرية ، حركت أصلب حوافز المقاومة المصرية ضد العدو وحركت قوى الأمة العربية ، وهزت ضمير العالم وقوى الســـلام فى الكرة الأرضـــية بأسرها وتمكن ذلك كلـــه من رد العدوان وقهـــره ، وتحطيم آماله وخططه وبقيت الآمال والخطط المصرية حية على الأرض المصرية تناضل ببسالة لكى تحقق ذاتها .

أيها الضيوف . أيها المواطنون .. عندما أصل الى هـــذا

الحد لابد من أن أشير بالتحية الى موقف الاتحاد السوفييتى ، فى مناصرة مصر وتاييدها بالفعل والعمل ، أن الاتحـــاد السوفييتى وقف مع مقاومتها ضد الغزو والعدوان ولم يكتف بذلك ، وانمـــا مد تاييده بعدها ، الى آمالنا وخططنا فى بناء السد العالى وقـــدم لنا القروض والخبرة الفنية اللازمة لمساعدتنا فى السد العــالى بمرحلتيه .

أن الاتحــــاد السوفييتى وقع معنـــا اتفاقيتين لقرضين ، قيمتهما معا ، مائة مليون جنيه ، ثلثهـــا للمرحلة الأولى التى تم تنفيذها اليوم ، والثلثان للمرحلة الثانية التى بدأ تنفيـــذ بعض أعمالهـــا بالفعل مع أعمال المرحـــلة الأولى . ليتم الســـد كله بمرحلتيه سنة ١٩٦٨ محققا كل نتائجه من الأرض الجـــديدة ، ومن طاقة الكهرباء ومن عملية التطوير الضخمة والعميقـــة التى تترتب عليها ابعادها الاقتصادية والاجتماعية .

لم تكن المسالة مسالة اتفاقيات ولكن روح تنفيذ الاتفاقيات كانت أهم من نصوصها أن سنوات طويلة من العمل المشـــترك قد أقامت صرحا للصداقة العربية السوفييتية لا يقل من صرح السد العالى قيمة ولا رمزا أن الأخوة العمال والمهندسين العرب والسوفييت ماثلة فى كل تفاصيل هـــذا العمل الذى هو بغـــير جدال من أضخم الأعمال الانسانية فى مصرنا الحديث واشــــهرها على الاطلاق وأبعـــدها صـــيتا فى الدور الذى لعبـــه فى تاريخ العالم الحديث .

لقد كان السد العالى هو محور معركة السويس العظيمة التى كانت أبرز نقط التحول فى المجال الدولى منذ الحرب العالمية الثانية وبداية لانطـــلاق حركة التحرير الوطنيـــة الهائلـــة فى أفريقيا .

أيها الصديق العزيز نيكيتا خروشوف .. انى أوجه اليك هذه الفقرة من خطابى واريد أن تسمعها معك شعوب الاتحاد السوفييتى ، بل أنه يهمنى أن تسمعها الدنيا كلها معكم من هنا .

أن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الاطلاق ومهما طال الزمن الجهد الذى بذلته شخصيا فى عملية بناء السد العالى .. لقد توليت بنفسك أكثر من مرحلة من مراحل الاتفاق على اقامته وكانت حماستك له دائما قوة لها أثرها بغير جدال فيما تراه من حدث الآن .

أن شعب الجمهورية العربية لن ينسى على الاطلاق ومهما طال الزمن التعاون الودى الذى قدمته حكومة الاتحاد السوفييتى فى مراحل الاتفاق والتنفيذ .

أن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينس على الاطلاق ومهما طال الزمن العمل الخلاق الذى قام به المهندسون والعمال السوفييت فى معاهدة الدراسة والأبحاث فى الاتحاد السوفييتى وفى المصانع السوفييتية التى كلفت بتنفيذ الآلات اللازمة للبناء .

ان شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الاطلاق ومهما طال الزمن روح النضال والمثابرة والصبر التى أبداها المهندسون والعمال السوفييت الذين شاركونا هنا على الموقع مع أخوتهم من المصريين فى عملية البناء .

أن هؤلاء الرجال أدوا عملا باهرا فى ظروف طبيعية تختلف عما ألفوا .. كذلك فان زوجاتهم وأطفالهم الذين صحبوهم الى هنا فى أسوان وعاشوا معهم معلهم وظروف هذا العمل هم شركاء للرجال العاملين بالحق فى تقديرنا .

انكم جميعا أيها الصديق العزيز كنتم معنا فى أعز أحلامنا.. وكنتم معنا فى أكبر جهد ماهر صنعه نضالنا من أجل تطوير الحياة أنكم بهذا الموقف أقمتم على أرض العرب .. وعلى أرض افريقيا جسر للصداقة بين الشعوب والقارات وأكدتم تضامن الثورات الأصيلة المكافحة كلها من أجل حياة افضل لجماهير الشعب .

يا بناة السد العالى فى هذه المناسبة .. باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أتقدم اليكم بالشكر والعرفان على العمل الكبير الذى أتممتموه .

يا بناة السد العالى .. باسم شعب الجمهورية المتحدة اتقدم بالشكر والعرفان الى وزير السد العالى محمد صدقى سليمان .. على ما بذله .. وعلى المثل الأعلى الذى ضربه فنفذ السد العالى فى أوقاته المحددة .. وكانت صحف الاستعمار تقول أن السد العالى يتعثر فى الطريق .

يا بناة السد العالى..باسم شعب الجمهورية العربيةالمتحدة المتحدة اتقدم بالشكر والعرفان الى السيد الكسندروف الخبير السوفييتى .. الذى عمل بشرف واخلاص حتى تحقق هذا العمل الكبير .

يا بناة السد العالى .. باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أتقدم بالشكر والعرفان الى كل فرد فيكم لأنه أدى واجبه أمام الله وأمام الوطن وأمام الضمير .

أيها الأصدقاء .. أيها المواطنون .. تحت الظلام الذى فرضته الغارات أثناء معركة السويس . .وفى الخنادق ووسط

المعارك العسكرية والاقتصادية والنفسية كانت أغنية الرجال والنساء والأطفال من أبناء مصر بأنهم سوف يبنون السد .

يارجال مصر ونساءها وأطفالها ..

لقد تحققت المعجزة وبنيتم السد أن الله منحكم الشجاعة على الصمود ومنحكم القدرة على العمل . أننا الآن ننظر الى المعجزة أمامنا ونقول كما قلنا دائما بعد كل انتصار الحمد لله .

أيها المواطنون .. باسمكم أتوجه الى الرئيس احمد بن بيللا .. الذى سينضم الينا بعد ظهر اليوم لمشاركتنا فى المناسبة العزيزة علينا والعزيزة على العرب أجمعين .. وأرجو لشعب الجزائر الشقيق كل تقدم وكل نجاح .

أيها المواطنون ..

سيروا على بركة الله والله الموفق والسلام عليكم .

بيانات عن السد العالي

* بدأ تنفيذ المشروع في ٩ يناير ١٩٦٠ .

* انتهت مرحلته الاولى في منتصف مايو ١٩٦٤ بتحويل مياه النهر الى قناة التحويل .

* في منتصف اكتوبر ١٩٦٧ ارتفع جسم السد الى منسوب ١٧٢ مترا ، وانطلقت الشرارة الاولى من محطة كهرباء السد العالي .

* في منتصف يوليو ١٩٧٠ اكتمل المشروع .

البيانات الفنية :

السد العالي بناء عملاق من ركام الجرانيت والرمال والطمي ، تتوسطه ىواة صماء من الطين الاسواني ، تتصل في الامام بستارة أفقية قاطعة للمياه ، هو سد يقفل مجرى النيل على مسيرة نحو ٧ كيلومتر الى الجنوب من سد سوان القديم ويحول المياه الى مجرى جديد عبارة عن قناة مكشوفة تتوسطها ستة انفاق متصلة في نهايتها بمحطة كهرباء ، مزودة باثنتى عشرة وحدة . وتكون لياه المحجوزة امام السد العالي بحيرة شاسعة عميقة ، تبلغ سعتها ١٦٤ يار من الامتار المكعبة ، منها ٣٠ مليار لاستيعاب الطمي بعد استمرار رسوبه دة قرون ، و ٣٧ مليار لمواجهة الفيضانات العالية و ٩٧ مليار تمثل السعة

الحية للخزان التي تضمن تصرفا سنويا ثابتا مقداره ٨٤ مليار من الامتار المكعبة يخص مصر منها ٥ر٥٥ مليار ، ويخص السودان ٥ر١٨ مليار ، والباقي وقدره ١٠ مليارات يقدر أن يفقد من حوض الخزان بالتبخر والتسرب .

** الســد :

عرض مجرى النهر عند موقع السد	٥٢٠ مترا
طول السد عند القمة	٣٨٢٠ مترا
اقصى ارتفاع للسد	١١١ مترا
عرض قاعدة السد	٩٨٠ مترا
عرض الطريق فوق السد	٤٠ مترا

** البحــيرة :

طول البحــيرة	٥٠٠ كيلو متر
متوسط عرض البحيرة	٨ر١١ كيلو متر
مساحة سطح البحيرة	٥٩٠٠ كيلو متر مربع
اقصى سعة للتخزين في البحيرة	١٦٤ مليار متر مكعب

** مجرى التحويل :

الطول الكلي لمجرى التحويل	١٩٥٠ مترا
طول القناة الامامية المكشوفة	١١٥٠ مترا
طول الانفاق شاملا محطة توليد الكهرباء	٣١٥ مترا
طول القناة الخلفية المكشوفة	٤٨٥ مترا
طــول النفــق	٢٨٢ مترا
عــدد الانفــاق	٦ انفاق
اقصى تصرف يمكن تمريره بمجرى التحويل	١١٠٠٠ م^٣^/ث
القطر الداخلي للنفق	١٥ مترا

** محطة توليد الكهرباء :

مجموعة القــوة المركبة	١ر٢ مليون كيلوات
عدد الوحدات الكهربائية	١٢
قوة كل وحدة	١٧٥ر٠٠٠كيلوات
الضاغط التصميمى	٥٧ر٥ متر

** المزايا الاقتصادية :

المعروف ان مشروع السد العالى يعد من المشروعات الفذة ذات الاغراض المتعددة ، فهو لا يوفر الماء للتنميــة الزراعية فحســب ، ولا يوفر الطــاقة الكهربائية للتنمية الصناعية فحسب ، ولكنه بالاضــافة الى ذلك يحمى البــلاد من كوارث الغرق لو دهمها فيضان كفيضان عام ١٨٧٨ ، أو كوارث الجفاف لو دهمها صيف كصيف عام ١٩١٤ . وفيما بين الذروة الشــاذة فى الارتفــاع والشاذة فى النضوب تأتى فيضانات لا تقوى البلاد على مجــابهتها لولا وجــود السد العــالى .

ويمكن أن نجمل مزايا السد العالى فيما يلى :

* التوســع الزراعى أفقيا فى مساحات جديدة جملتهــا نحــو ١ر٣ مليــون فــدان .
* تحويل أراضى الحياض بالوجه القبلى الى نظام الرى الدائم فى مســاحات جملتها نحو ٩٧٣ر٥٠٠ فدان .
* ضمان احتياجات الرى لجميع الاراضى المزروعة فى كافة السنين مهمــا قل الايراد الطبيعى للنهر .
* ضمان التوسع فى زراعة الارز كل عام .
* وقاية البلاد وقاية كاملة من أخطار الفيضانات العالية أو المنخفضــة
* تحسين الصرف فى الأراضى الزراعية .
* توليد طاقة كهربية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة فى السنة
* تحسين اقتصاديات محطة كهرباء سد أسوان .

المصـــادر

SUEZ : The Twice Fought War : KENNETT LOVE

(٢) عبد الناصر والعالم — محمد حسنين هيكل

(٣) بنـاء السد العالى — ايفـــان كومزين

(٤) مشروع السد العالى بين ضـــخامة عوائده .. وشـــكوى اعدائه — المهندس محمد عبد الرقيب وزير الرى

(٥) انسان السد العالى — كمـــال القلش، رءوف مســـعد، صنع الله ابراهيم

(٦) مـيـلاد ثورة — محمـــد عـــودة

(٧) تقـرير للمهنـدس على فتحى عن الاثار الجانبية للسـد ، ومناقشات بين كل من المهندسين على فتحى ويوسف سميكة وبين جمال الشرقاوى المحرر بالاخبار القاهرية .

فهـــرس

صـــفحة

كتاب الاهـــالى

دليل المواطن لمشاكل الوطن وهموم الأمن وفكر العصـــر

صـــدر منها :

١ ـــ مستقبل الديمقراطية فى مصر ـــ **خالد محى الدين**

٥٠ قرشـــا

٢ ـــ الأسس القرآنية للتقدم ـــ **د. محمد أحمد خلف الله**

٥٠ قرشـــا

٣ ـــ فى أصلاح ما افسده الانفتاح ـــ **د. ابراهيم العيسوى**

جنية واحـــد

٤ ـــ محنة التعليم فى مصر ـــ **د. سعيد اسماعيل على**

٧٥ قرشـــا

٥ـــ دعم الأغنياء ودعم الفقراء ـــ **تقرير التجمع عن مشكلة الدعم**

٥٠ قرشـــا

٦ ـــ هـــل نهدم السد العالى ـــ **فليب جـــلاب**

٥٠ قرشـــا

تطلب الاعداد السابقة من : مقر الأهالى (٢٣ شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ ـــ القاهرة) . المقر المركزى للتجمـــع (١ شارع كريم الدولة متفرع من ميدان طلعت حرب بالقاهرة) . دار الثقافة الجديدة (٣٢ شارع صبرى أبو علم) . مكتبة مدبولى (٨ ميدان طلعت حـــرب)

كتاب الاهــــالى

العــــدد الســـابع

يصـــــدر فى يونيو ١٩٨٥

محـــاكمة ريجـــان

مجموعة دراسات وابحاث اعدها فريق من المتخصصين

فى السياسة الدولية ونوقشت فى نـــدوة عالمية

حاكمت سياسة امريكا الدولية منذ عام ١٩٧٧

ترجمة وتقـــديم : بيـــومى قنـــديل

مراجعة وتعليق : محمد سيد احمد

أدب ونقـــــد

* مجلـــة ادبيـــة يصـــدرها حزب التجمع فى منتصـــف كل شـــهر

* خـــلاصة ادب العالم .. وفكره .. وثمار الابداع المصرى والعالمى

رئيس التحرير : د. الطاهر مكى

مـــدير التحرير : فـــريدة النقاش

ثمن العدد : ٥٠ قرشا

الاهـــــالى

جـــريدة كل الوطنيين

صحافة الموقف الواضح .. والشجاع

تصـــدر كل اربعاء

١٢ صفحة ـــ ١٠ قروش

رئيس مجلس الادارة : خـــالد محى الدين

رئيســـ التحـــرير : حسين عبد الرازق

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٤/٥/١٤

مطبعة اخوان مورافتلى
١٩ شارع محمد رياض ــ عابدين
تليفون : ٩٠٤٠٩٦



ظل المصريون والعرب أكثر من عشر سنوات ، يقرأون فى الصحف ويسمعون فى المنتديات ، أن كل كوارث مصر سببها السد العالى ، فهو الذى رفع ملوحة التربة ، وتسبب فى نحر مجرى النيل ، وقلل من نسبة الطمى الذى يخصب الارض ، وقضى — للأسف — على السردين والجمبرى !!

وخلال تلك السنوات ، بدا السـد العالى ، هو المتهم الرئيسى الذى لو قبض عليه ، لتمتعت مصر برخاء ، لم يسبق له مثيل ، ولو اعدم لازداد الانتـاج ، وانتشر العدل ، وعم الأمن والسكينة أرجاء الوادى الخصيب !

وفجأة ، وبعد عشر سنوات ، اكتشف الذين قالوا هـذا الكلام ، أن السد العالى قد حمى مصر من الجفاف والتصحر الذى انتشر فى افريقيا ، وأن الميـاه المخزونة خلفه ، وان كانت قد ضنت على الأرض ببعض الطمى ، فقد اغاثتها من ان تظل عطشى بلا طمى ولا ماء !

وهذا الكتاب ، يروى قصة الحمـلة على السد العالى ، ويناقش كل ما وجه اليه من اتهامات ، ويفسر الاهداف الخفية التى كانت تحرض على هدم السد العالى .

ومؤلف الكتاب فيليب جلاب ، صـحفى وكاتب ، درس فى كلية الحقوق ، وعمل بالصـحافة منـذ عام ١٩٥٦ ، ونشرت تحقيقاته ومقالاته فى صحف المساء والجمهورية والاخبار وآخر ساعة وروزاليوسف ، وهو عضو حزب التجمع ومجلس تحرير الاهالى ومجلس نقابة الصحفيين . صدر له كتاب « دبوس فى نبش الماضى والحاضر » .

053

جا
ه